

# روايات حبير

## سجينة

## الغبير



[WWW.REWITY.COM](http://WWW.REWITY.COM)

مرمورية



No. 026



# روايات حبير

## سهيبة الفجر

♦ لا يأتي الحب على أجنحة من حرير.. بل يجئ كدقق صاخب يجتاح القلب ويأسره..

وهي شباك الأسر فلما يفكر المحبوب في الخلاص من قيود أقوى من الفولاذ..

وعندما قامت (لين) برحلتها إلى أيرلندا.. لتنفذ إرثاقات العمل الطويل بين

الربوع والبحيرات والجبال.. لم تكن لتصدق أن رحلتها ستتحول إلى كابوس

مرعب.. وسجن حقيقي مؤلم..

فقد تصادف أن تعطلت سيارتها بقرب مخيم للفجر.. وأضلت بمعجزة من

العجري المتشرد القذر.. لكنه طاردها في الغابة وسجنها داخل عرية حقيرة..

وأجبرها على الزواج على طريقة الفجر.. وباتت الفتاة الرقيقة الجميلة أسيرة

السجن والمعاناة والألم..

لكن الحب تسلل إلى قلبها المحزون.. ولم تفلح في مقاومته..!!

I.S.B.N. 977-376-056-1

TIHAMA



تهامة



30905242 SR-10

9789773760564 ريال ٢٠٠

سوريا ٧٥ ل.س

مصر ٥ جنيه

لبنان ٢٥٠٠ ل.ل

الأردن ١ دينار

السعودية ١٠ ريال

الكويت ٧٥٠ فلس

الإمارات ١٠ درهم

البحرين ٧٥٠ فلس

قطر

مسقط ٥٠

المغرب ٥

ليبيا ٥

تونس ٥

اليمن ٢٠٠ ريال

No.026

روايات عبير

سجينة  
الغدير

آن هامبسون

الناشر

دار الكتاب العربي

دمشق - القاهرة

اسم السلسلة : روايات عبير

اسم الكتاب: سجينة الفجر

الاسم الأصلي:  
BELOVED  
VAGABOND

اسم المؤلف: أن هاميسون

رقم الايداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٠٤/٤٥٨٥

الترقيم الدولي: I.S.B.N. 977-376-056-1

جمع اليكتروني: فور إتش ت: ٠١٠/٦٦٧٤٣٣٥

تصميم واخراج الغلاف: وائل سلامة

روايات عبير 026

سجينة

الفجر

تطلب كافة منشوراتنا:

حطب: الجميلية أمام مسرح نقابة - ت: ٢٢٥٦٨٦

دمشق: مكتبة رياض العلي - خلف البريد ٢٢٣٦٧٢٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

٢٠٠٦



سوريا - دمشق - الحجاز - شارع مسلم البارودي هاتف: ٢٢٢٥١٠١ ص ب ١٢٢٤٤ فاكس: ٢٢٤٧٢٩٧

مصر - القاهرة - ٥٢ شارع عبد الطالق ثروت - شقة ١١٢ فاكس: ٢٩١٦١٢٢

Email: darkitab2003@yahoo.com



## ١. الاختطاف

كانت السيارة تسير على مهل فى الطريق الساحلى، تجلس خلف مقودها فتاة جميلة تتأمل روعة المشهد الطبيعى. هضاب خضراء تمتزج أطرافها برمال الخليج الصغير الذهبية وتحجب قسماً منها أشجار عالية مورقة.

كانت لين سلدن تنوى قضاء العطلة فى إيرلندا الجنوبية برفقة صديقة لها، لكن صديقتها اعتذرت عن المجرى فقررت لين المضى فى رحلتها وحدها. انتقلت من إنجلترا إلى إيرلندا بحراً وشحنت سيارتها على الباخرة نفسها.

أمضت الفتاة إلى الآن عشرة أيام رائعة تنتقل فى أرجاء إيرلندا الخضراء الساحرة. جمال الطبيعة أنساها وحدثها فلم تكن تتذكر ذلك إلا عند رجوعها فى المساء إلى الفندق لتخلد للنوم. وبعد أن أمضت لين يومها فى مدينة دونيغال استعدت للعودة إلى الفندق الواقع فى أطراف المدينة، لتتوجه فى الصباح الباكر جنوباً نحو دانليرى، حيث ستستقل الباخرة بعد أيام عائدة إلى إنجلترا.

أوقفت السيارة إلى جانب الطريق وأخرجت من حقيبتها خريطة

المنطقة. عيناها تحدقان في الخريطة، في حين أن فكرها شارده في أمور أخرى وخاصة في عرض الزواج الذي تلقته قبل أسبوعين من زميلها في العمل توماس. إنه شاب لطيف ومهذب لكنه لا يتمتع بأية جاذبية لا بل هو، كما وصفته إحدى زميلاتهما، بليد ومثير للضجر. وعدته لين بالتفكير جدياً في الأمر لأنها بدأت تشعر بالملل من العيش وحيدة فلا بأس بفكرة الاستقرار مع رجل طيب ورفيق لبناء عائلة جديدة.

إلى جانب ذلك، هناك سبب آخر يجعل لين تأخذ في الاعتبار عرض الزواج. وهو شعورها بالأسف نحو توماس الذي فجع بخيانة زوجته له وانفصالهما بالطلاق. وجدت الفتاة في معاناته قواسم مشتركة مع ما تعرضت له حياتها العائلية. تمتعت لين بطفولة سعيدة بين والدين محبين وفي منزل وافر الأمان، لكن والديها انفصلا عن بعضهما وهي لم تتجاوز بعد السبعة عشر ربيعاً بعدما وجدا أن طريق كل منهما يختلف عن طريق الآخر. وخلال ثلاثة أعوام تزوجت أمها من رجل أميركي وهاجرت معه إلى أميركا، كما أن والدها تزوج من سيدة أقنعتة بالهجرة إلى أستراليا. وهكذا أصبحت لين وحيدة وهي في العشرين، تعيش دون عائلة. لذلك قررت أن تجد الرجل الذي ينتشلها من عذابها ويقاسمها حياة هنيئة.

أليكون هذا الرجل توماس؟ سؤال لم تجد له بعد جواباً شافياً. تنهدت وهي تقود السيارة في طريق فرعى ضيق محاط بأشجار عالية. بعد أن توغلت بضعة كيلو مترات وصلت إلى غابة كثيفة تقع في وسطها بحيرة جميلة يقوم قربها مخيم للفجر. وجود جماعات الفجر

في أيرلندا أمر مألوف أكثر من وجودهم في إنجلترا. غريب أمر هؤلاء القوم ينتقلون من مكان إلى آخر، لا يحبون الاستقرار كبقية البشر. يبحثون عما لا يجدون فيستمرون في التجوال.

فجأة، إذ تجاوزت السيارة أولى عربات الفجر، أصدر المحرك صوتاً قوياً ثم توقف. تراجلت لين من السيارة عابسة والتفت حولها عدد من الأطفال الفضوليين. ثم تقدمت منها غجريتان فيما هي منهمكة بالنظر إلى المحرك تحاول عبثاً معرفة سبب العطل، وبرز من بين الجميع شاب أسمر اللون عارضاً المساعدة. رفعت لين عينيها لترى شاباً طريلاً مفتول العضلات، أسود العينين، أجعد الشعر. نظراته الثاقبة أزعجتها فبلعت ريقها من الخوف.

قالت له أخيراً:

- تعطل محرك سيارتي.

- هل نفذ منها الوقود؟

- أومأت لين بالنفي وأجابت:

- الوقود فيها أكثر من كاف.

وجدت الفتاة نفسها تحديق. لاحظت تعالياً وغطرسة في هذه الملامح يجعلانه مختلفاً عن بقية قومه. فالفجر عادة أناس بسطاء متواضعون، علمهم الفقر أن الخضوع هو الوسيلة الوحيدة لكسب أرزاقهم.

- بما أن الوقود متوافر لا أعلم سبب الداء. نحن نستعمل الجياد لا السيارات، لذلك خبرتي في المحركات ضعيفة جداً. كل ما يمكنني فعله



هو ارسال أحد إلى المدينة ليحضر ميكانيكياً .

كانت تدرك أنه كاذب من خلال نظراته الشغوفة والفاحصة . ولأنها لمحت شاباً يتوجه على حصانه نحو المدينة ليحضر الميكانيكى .

شعرت بالحرج وهى واقفة بين هؤلاء الفجر . فبدأت تتمشى حتى ابتعدت عن المخيم فى طريق موحش، تحيط بجانبه خضرة عذراء، تبدو من خلالها مياه البحيرة مرآة تنعكس على صفحاتها بفرح أشعة الشمس الذهبية .

وبينما هى تتأمل شاعرية المكان وسحر وجوه الغامض، سمعت وقع خطى تتقدم منها على مهل فارتعدت . إنه الفجرى الأسمر . تراءت لها أشياء كثيرة مرعبة إذ رآته يقترب منها بكل ثقة . وخانتها شجاعته حتى كادت تصاب بالاغماء .

تحدث الشاب بنبرة أمرة:

- أنت انجليزية، أليس كذلك؟ ظننت فى البدء أنك أميركية .

توقف عن الكلام واقترب من الفتاة . عضلاته القوية يبرزها قميصه الأسود الضيق و«فجرته» يدل عليها الشال الأحمر القذر الملقوف حول عنقه . لو أراد فنان رسم متشرد لوجد فيه النموذج الأمثل . ارتجفت لين تراودها فكرة الفرار ولكن الفجرى لم يدع لها الفرصة لتجد منفذاً . تقدم منها بغتة وأطبق على ذراعها دافعاً إياها إلى مكان كثيف بالأشجار خلال ثوان صارت بين ذراعيه القويتين .

صرخت بأعلى صوتها :

- أيها الوحش!

لم يأبه الرجل لكلماتها بل وطوقها ضاحكاً وكأن مقاومتها تزيد لعبته اثاره . وبينما هو يهم بطرحها أرضاً داس أحدهم على غصن يابس فسمع صوت انكساره عالياً . التفت الرجل وهو يزمجر غضباً لتظهر فتاة عجيبة جميلة يتطاير الشرر من عينيها :

- ألم تشبع من أفعالك القبيحة بعد؟ دع الفتاة وشأنها أيها الوقح! ذهلت لين لاطاعة الرجل الشرير وأوامر الفجرية من دون نقاش . وما كاد يحرر يدها المليئة بالخدوش حتى أطلقت ساقها للريح .

جلست لين تفكر فى كيفية افلاتها من قبضة الفجرى الأسمر . ولحسن حظها وجدت أتوبيساً أقلها إلى الفندق فى المدينة . ومن هناك اتصلت هاتفياً بجراح للسيارات فتكفل الميكانيكى باصلاح السيارة وجلبها فى اليوم التالى بعد أن تبين أن العطل كان بسيطاً للغاية .

سارعت لين بعد ذلك إلى مغادرة المنطقة . وساهم انتقالها بين الطرقات الجميلة على نسيان الحادثة الأليمة . فاستعادت روحها المرحة ورغبتها فى اكتشاف المزيد من أيرلندا .

وصلت إلى منطقة تدعى لاف كوريب حيث وجدت المشاهد رائعة تحبس الأنفاس . الجبال، المراعى الواسعة، البحيرات، الغابات... كلها مناظر خلابة تسحر الألباب، تمتع العين والنفس وترحب بانسان المدينة التعب لينفت فى رحابها الهموم . وصلت إلى واد أخضر تبحت عن مكان تمضى فيه ليلتها . ووفقت فى العثور على المكان الملائم . مزرعة صغيرة يستقبل أصحابها النزلاء فى جناح خاص مقابل مبلغ قليل من المال .



أوصلتها المرأة صاحبة المزرعة إلى غرفتها البسيطة النظيفة.  
وأطلت لين من النافذة لتشاهد المنظر الجميل والجبال تكسوها  
الغابات الكثيفة. ثم لاحظت مدخنة بعيدة في وسط جبل أخضر.

سألت لين المرأة وهي تشير إلى المدخنة:

- أهذا بيت في الجبل؟ أظن أنى رأيت مدخنة.

- نعم، هذا قصر السيد دوغى.

لاحظت الفتاة تغيراً في نبرة المرأة التى تابعت تقول:

- السيد دوغى هو مالك كل هذه الأراضى، وقد ورثها عن والده  
الذى كان الحاكم الاقطاعى للمنطقة. بناء فخم تحيط به حدائق رائعة.

- هل يسمح للجمهور بزيارة الحدائق؟

- نعم، الأبواب تفتح للزوار يومى الثلاثاء والسبت .

- أود لو سمحت يا سيدتى أن أحجز هذه الغرفة ليومين .

- أمرك يا أنسة سلدن بامكانك حجزها المدة التى تريدين، فهناك  
أشياء كثيرة يمكنك القيام بها فى هذه المنطقة. باستطاعتك مثلاً، إذا  
كنت تجيدين ركوب الخيل، استئجار جواد من مدرسة الفروسية  
والتوجه إلى الغابات.

أعجبت لين بهذه الفكرة فهى لاتزال تجيد الفروسية التى تعلمتها  
أيام الطفولة.

انطلقت لين ظهر السبت صوب حدائق قصر دوغى. وبعد أن  
سلكت بسيارتها طريقاً منحدراً وصلت إلى سفح التلة التى يقوم عليها

القصر وبدأت بالصعود نحوه إلى أن بلغت سوراً كبيراً فى وسطه بوابة  
مفتوحة يقف بجانبها حارس يرتدى ثياباً أنيقة.

دخلت إلى موقف مخصص لسيارات الزوار بعد أن دفعت مبلغاً  
صغيراً يذهب إلى الأعمال الخيرية.

أخيراً وجدت لين نفسها تتجول فى هذه الجنة الساحرة. أينما  
نظرت وجدت جمالاً وبهاء. ممرات تظللها أشجار سخية. برك ماء  
صغيرة تغطيها الزنابق. جداول تتدحرج بين الصخور تعلوها جسور  
خشبية صغيرة مكسوة بالنبات المتسلق تماثيل بديعة وسط نوافير مياه  
وتشكيلات من أجمل الزهور وأزهارها. توقفت لين مراراً لتقرأ أسماء  
الأشجار والأزهار النادرة، فتحت كل مجموعة وضعت لوحة صغيرة  
فيها شروحات موجزة عن النوع. كما قرأت على إحدى اللوحات أن  
شرفات الجهة الجنوبية من القصر صممتها السيدة موريل زوجة  
الكونت دوغى حاكم المنطقة فى القرن التاسع عشر.

وصلت لين خلال تجوالها إلى حديقة مليئة بأشجار الزيزفون  
وشجيرات أخرى أجنبية. حديقة أقل ما يقال شيها أنها فاتنة جعلت  
الفتاة تتسى كل شىء وتعتبر أن العالم تقلص كثيراً ليصبح هذا المكان  
الخلاب الذى لا موطىء قدم فيه لحزن أو لهم. لم تتمكن من كتم  
شعور بالحسد تجاه مالكى القصر. وتمنت لو تكون مكانهم.

حان وقت العودة إلى الفندق وتساءلت لين: كيف يتمكن سكان  
القصر من حبس أنفسهم فى الداخل عندما تفتح الأبواب للزوار؟

فيما هى متوجهة إلى البوابة الرئيسية لاحظت لين مجموعة من



الزوار ملتفتين حول نافذة من نوافذ القصر. تقدمت منهم يدفعها فضول الاكتشاف فسمعت الحوار الدائر بينهم.

قالت سيدة متوسطة العمر:

- هذه اللوحة تمثل والدته.

علقت سيدة أخرى:

- لقد كانت رائعة الجمال.

- من المؤسف أنها أقدمت على هذا العمل!

- يقال أن علماً أسود رفع على شرفات القصر بعد الحادث.

- وما معنى ذلك؟

- معناه أنها اعتبرت ميتة بالنسبة لعائلتها بعد العار الذي سببته لهم.

- قيل أنها ماتت بعد ذلك بوقت قصير، أليس كذلك؟

- ماتت وهي تضع طفلها.

- وهل تعهد أهلها الطفل؟

- البعض يؤكد ذلك.

- لكنه أصبح مالك القصر وسيد الأراضى الآن برغم كل ما حدث.

- السيد دوغى عثر على هذه اللوحة، وأمر بوضعها هنا ليعيد الاعتبار إلى والدته المنبوذة.

- يا لها من قصة محزنة! كم يبلغ دوغى من العمر؟

- أعتقد أنه أصبح فى الثلاثين.

- هل هو متزوج؟

- لا، هناك اشاعات كثيرة عن علاقة تربطه بممثلة سينمائية

كبيرة. لكنها أخبار ملفقة لا تمت إلى الحقيقة بصلة. يقال عنه أنه

يؤمن بالحب من أول نظرة، وعندما يجد ضالته المنشودة سيتزوج فوراً.

- أتمنى لو أستطيع رؤيته لأنه، كما سمعت، شاب باهر الجمال.

- ما يميزه عن غيره من الرجال هو قصته المحزنة.

- ما هى القصة الحقيقية التى وقعت لأمه؟ أنا لا أعرفها كاملة.

- يقال أنها هربت مع...

لم تسمع لين من القصة أكثر من ذلك. لأن المجموعة ابتعدت عنها

باتجاه قسم آخر من الحديقة. نظرت من النافذة إلى داخل القصر

حيث علقت اللوحة المعنية فرأت رسم امرأة رائعة الجمال ترتدى

فستاناً من الحرير الأزرق. وعلى بساطته، لا يخفى وجهها نظرات

أرستقراطية واضحة فى العينين الزرقاوين. شفتاها الورديتان ترسمان

ابتسامة السعادة والبراءة. من المحزن أنها ماتت عند الولادة.

خرجت لين من الحدائق وهى تفكر بهذه القصة التى لم تتمكن من

معرفة كل فصولها. شعرت بفضول كبير لمعرفة الحقيقة وللتعرف إلى

صاحب القصر الذى اتقد لوحة والدته لينقذ شرفها الضائع.

فى الصباح التالى استعدت لين للرحيل. بعد أن سددت الفاتورة

ووعدت بالعودة إلى المزرعة فى رحلتها المقبلة إلى أيرلندا، توجهت إلى



مدرسة الفروسية حيث تركت السيارة في موقف خاص وترجلت  
لتستأجر حصاناً. قررت أن تقوم بنزهة صغيرة على الحصان قبل  
ذهابها إلى منطقة جديدة، ووقع اختيارها على فرس قوى.

- هل هو حصان هادئ؟

أجابت الفتاة المسؤولة عن الاسطبل:

- فونيلاً أفضل حصان عندنا. وأنا واثقة من أنك ستفتقديه كثيراً  
عندما تنتهين من جولتك.

حدقت الفتاة في لين جيداً وتأملت الوجه الرقيق والشعر الأسود  
الطويل المعقود بشريط أبيض. كما أعجبت بالقامة الرشيقة وخصوصاً  
بالساقين الطويلتين والخصر الضامر. لاشك في أن لين فتاة جميلة  
تجذب الرجال وتدير رؤوسهم...

بعد قليل كانت الفتاة الإنجليزية تمتطى جوادها في الغابة التي  
أرشدتها إليها فتاة الاسطبل حيث يمكنها التجول بحرية وحيث لا خطر  
بأن تتوه لأن اللافتات المنتشرة في الغابة خصيصاً لارشاد المتزهين.  
كانت اشعة الشمس الساطعة تنفذ من بين الأوراق الكثيفة بحياء،  
مضفية على الجو الداكن اشراقاً من السحر وومضة من الغموض.

- يا إلهي! كأنني في الجنة!

ضحكت لين مسرورة لأنها تتمكن من الكلام والتفكير بحرية مطلقة  
في هذا المكان. كان العالم أصبح ملكها لا ينازعها فيه أحد.

- حسناً يا حصاني الجميل، لنرتح قليلاً هنا.

ربطت الحصان إلى شجرة ووقفت تتأمله يلتهم العشب الطرى  
بنهم.

أجفلت لين عندما سمعت صوتاً غريباً. وأخذت تحديق حولها لترى  
مصدر الجلبة. وشعرت بأن أحداً يراقبها في هذه الغابة الموحشة.  
تلفتت فلم تسمع إلا خفقة ورقة صفراء يحملها النسيم.

فجأة سمعت صهيل حصان فاقتربت من فرسها وحلت الحبل  
بيدين مرتجفتين. وقبل أن تستطيع الانطلاق بالفرس والابتعاد اقترب  
منها حصان يمتطيه... الفجري الأسمر.

تجمد الدم في عروقها لما رأت الفجري أمامها... كيف استطاع  
الوصول إلى هنا من مخيمه البعيد بهذه السرعة؟ لا يعقل أن يكون جاء  
على حصانه لأن المسافة بعيدة إلى حد يجعل ذلك مستحيلًا لابد أنه  
استعمل وسيلة أخرى. ثم، من أين أتى بهذا الحصان الأصيل الذي لا  
يمكن أن يملكه فجري فقير؟

رفعت عينيهما إلى وجهه، لاحظت أشياء لم تلحظها فيه عندما  
حاول الاعتداء عليها بعد تعطل سيارتها قرب المخيم. رأت إلى جانب  
وسامته مسحة أرستقراطية نبيلة وشيئاً من اللباقة والاستعلاء. يده  
الممسكة باللجام بدت أنعم، تدل على أنه لم يقم بعمل يدوي في حياته.  
حتى ثيابه تبدلت، لم يتخل عن قميصه الأسود لكن الشال الأحمر  
الوسخ اختفى ليحل مكانه شال آخر نظيف. السروال الممزق تغير  
ليصبح سروالاً أنيقاً... لاشك أنه سرق الحصان والثياب، ولكن كيف  
تبدلت يده من يدي متشرد إلى يدي أرستقراطي نبيل؟ وقف الفجري  
يحدق فيها باستغراب كأنه فوجيء بوجودها.



حطم جدار الصمت أخيراً بقوله:

- صباح الخير.

أخذت لين تحسب فرص الهرب وجسمها الرقيق يرتعش خوفاً وغضباً. نظرت صوب الممر القريب الذى يوصلها إلى مدرسة الفروسية وبخفة لم تعدها فى نفسها من قبل قفزت إلى الحصان والسوط فى يدها. انطلقت بسرعة وكى تعاقب الفجرى على فعلته وتؤخره عن اللحاق بها ضربته بالسوط على وجهه. وضع الرجل يده على خده الدامى وقد ارتسم على وجهه ذهول كبير.

- تستحق أكثر من ذلك أيها الفجرى المتشرد! كيف تجرؤ على التحدث إلى؟ عد إلى قومك ولا تتحرش بالناس المتمدنين!

قالت لين كلماتها هذه وهى منطلقة على على حصانها تحته بضربات خفيفة من قدميها على الاسراع فى العدو. أخذت تخترق الغابة بسرعة عمياء وخوفها يتعاظم مع اقتراب صوت حوافر جواده منها. إذا تمكن من اللحاق بها سيقتلها ويرميها فى الغابة! ازداد هلعها لهذه الفكرة ولم تعد تدرى ما تفعل لتخرج من الورطة المميتة. أخذ الحصان يقترب منها أكثر فأكثر وصاح فيها الرجل:

- توقفى!

استمرت بين فى العدو بأسرع ما يمكنها. لكنها ضلت الطريق بسبب ذعرها الشديد ولم تجد ممر الخروج من الغابة. فصارت تصرخ بأعلى صوتها:

- النجدة! النجدة!

دب التعب فى حصانها فخفت سرعته فى حين أن حصان الفجرى الجبار ما أنفك يدنو منها.

- توقفى وإلا أوقعتك عن الفرس!

تجاهلت الفتاة أوامره باحثة دون جدوى عن وسيلة للافلات.

- دعنى وشانى! أرحل عنى. سأبلغ رجال الشرطة...

توسلات وتهديدات لن تجدى نفعاً مع هذا الرجل الشرير. أخيراً صار الفجرى بمحاذاتها فبذلت المستحيل للصمود فوق حصانها المرهق. مال الرجل وخطف من يدها اللجام أجبر الفرس على التوقف. ثم نزل عن حصانه وأنزل لين عن حصانها. شعرت الفتاة أنها سجينه نظراته الغاضبة ووقفت عاجزة عن الحراك.

رفع الفجرى يده إلى خده الدامى يتحسس الجرح العميق الذى سببته ضربة السوط.

- هل هو حصانك؟

- لا، استأجرته من مدرسة الفروسية.

هز الرجل رأسه وكأنه يعرف المدرسة. ثم أخذ يحدق فى الفتاة لشوان مرت ثقيلة كأنها الدهر قبل أن يقول:

- لا خوف على الحصان. إنه يعرف طريق العودة إلى الاسطبل.

وضرب فونيلا ضربتين خفيفتين فبدأ بالعدو حتى اختفى عن نظر لين بعد قليل.

- من أين أنت؟



ازداد الحصان توغلاً في الغابة ولين تكاد تصاب بالاغماء، والرجل ملتصق بها تحس بنفسه يلفح عنقها وهو يقود الحصان بسرعة كبيرة. أخذت ترتعد كورقة خريفية وهي تسأل نفسها عما فعلته لتستحق هذه النهاية السوداء. أخيراً قرر الرجل التنازل عن صمته فأعلن:

- نحن ذاهبان إلى المخيم.

- المخيم.. أى مخيم هذا؟

فهبه الفجرى عالياً يتلذذ بخوفها وأجاب:

- ألا تعلمين أن الفجر يعيشون في مخيمات؟

- ستقدم أيها الحقير على عملك لأن رجال الشرطة سوف يرمون

بك في السجن!

كانت تعلم في قرارة نفسها أن كلامها لا يرهب الرجل، فالفجر «محترفون» في الخروج على القانون. ولا يهابون السلطة. القانون الوحيد الذي يحترمونه هو أن الغاية تبرر الوسيلة. وأن مصلحة القبيلة يجب أن تكون الأهم بغض النظر عن أى اعتبار. واصلت لين بالرغم من ذلك تهديدها لعلها تتجح في العثور على نقطة ضعف في الفجرى:

- تكون أحمق إذا اعتقدت أن بإمكانك الإفلات من قبضة العدالة.

الاختطاف جريمة يعاقب عليها القانون بشدة!

لم يعلق الرجل بشيء وظلا صامتين حتى وصلا إلى المخيم حيث انتشرت عربات كثيرة. نظرت لين إلى الوجوه التي تنظر إليها فلم تتعرف إلى أحد من الذين رأتهم عندما تعطلت سيارتها. كما لم تجد تلك الفتاة التي أنقذتها يوماً من الفجرى لعلها تعيد الكرة الآن.

- أنا انجليزية وجئت إلى أيرلندا لأمضى أجازتى السنوية... أنزل في مزرعة قريبة من هنا.

هز الرجل رأسه كأنه يعرف المزرعة كذلك.

- قلت أنك في أجازة، فهل يعنى هذا أنك بمفردك؟

- تماماً، أنا أجوب البلاد بسيارتى التى تركتها في موقف قريب من

الاسطبل.

واصل الرجل طرح الأسئلة، وواصلت لين الاجابة دون أن تدري

مدى الخطأ في إعطائه معلومات يجب أن لا تطلعه عليها. ولم تع ذلك

إلا عندما سمعته يقول:

- أنت وحدك هنا...

وعندما سألها لماذا ضربته بالسوط أجابت لين وفي صوتها نبرة

الازدراء:

- لأنك وجنسك حثالة المجتمع ورعاع القوم!

سرعان ما ندمت لتهورها وطيشها إذ رأت في عيني الرجل عاصفة

من لغضب ونية على ارتكاب عمل شرير. اقترب منها وزمجر:

- حثالة المجتمع ورعاع القوم؟ ستدفعين ثمن كلماتك غالياً.

وبسرعة حملها في قوة ورمى بها على ظهر الحصان، ثم قفز

خلفها وانطلق مسرعاً نحو عمق الغابة.

تساءلت لين عما ينوى الفجرى فعله بها ولكنها لم تفلح في تصور

مصيرها يعزز ذلك غضب أقرب إلى الجنون يسيطر على خاطفها.



تعالت صيحات الترحيب بالفجرى:

- أهلاً بك يا رادولف!

- ما هذه الغيبة الطويلة؟

- أخيراً عدت إلينا.

نشأ لدى لين انطباع بأن الفجرى لا ينتمى إلى مخيم معين.  
وتأكدت من أن هذا المكان ليس المكان نفسه الذى شاهدته.

تقدم من الفجرى رجل كهل وقال:

- رادولف، ليس من عادتك...

اسكته رادولف بإشارة من يده، ولكن الكهل تابع:

- ماذا حدث لوجهك؟ الدماء تسيل منه بغزارة!

عندها رأت لين الجميع يلتفون حول رادولف وعلامات التعجب  
بادية على وجوههم. سمعت بعض الكلمات الانجليزية لكن معظم  
الكلام كان باللغة الفجرية التى تجهلها. أوضح رادولف الأمر لقومه  
بلغتهم ونظراته المليئة بالحقد تصب نارها على الفتاة المصابة بذهول  
مطبق. أمسك بخصرها وأنزلها عن الحصان فتعالت ضحكات من  
حولها، وكأن القوم يستعدون لمرح أت ولائحة توفرها لهم ضحية جديدة  
يتسلون بها...

زادت الدماء المتجمدة على وجه رادولف من رهبة شكله، وجعلته  
يبدو مجرمًا أكثر وأكثر. أيمن أن تتوقع رحمة من إنسان كهذا لا يهتم  
إلا بارتضاء غرائزه، لا يعرف المثل والمبادئ التى تؤمن بها المجتمعات

المتحضرة؟ حاولت الفتاة ألا تفكر بما ينتظرها، لكن الرؤى السوداء  
كانت تغلف ذهنها كغمامة داكنة. تمنى لو أنها تموت! فالموت أرحم من  
العذاب القابع وراء الساعات المقبلة... تمنى لو أن يدي رادولف  
الجبارتين تلتفان حول عنقها الغض وتعصران منه آخر قطرة حياة...

انصرف رادولف إلى حديث طويل مع الرجل الكهل. سمعتها لين  
يتلفظان ببعض الأسماء: أولاف، بوريل وغيرهما. وفهمت أن الكهل هو  
أولاف وأنه ورادولف يتحدثان عن بوريل، ولكنها لا تعلم ما إذا كان  
بوريل اسماً لامرأة أو لرجل. حدثت الفتاة فى وجه رادولف لتجد  
الاضطراب والقلق الشديدين باديين عليه. فى حين كان أولاف يتنهد  
من وقت إلى آخر ويزم شفثيه بامتعاض. ما هو الحديث المهم الدائر  
بين الرجلين؟ سؤال لا يمكنها أن تجيب عليه قبل أن تفهم هؤلاء القوم.  
بعد ذلك بدأ القوم يوجهون الأسئلة إلى رادولف فيجيب عليها  
باقتضاب، والأولاد الحفاة ذوى الثياب البالية يحملقون فى ثيابه  
النظيفة والأنيقة بانبهار.

نظر رادولف إلى لين فعاد إلى عينيه لمعان الشر. ويلمح البصر  
حملها بين يديه وسط ضحكات الجميع إلى عربة أرشده إليها أولاف.  
صاحت لين فى الفجر:

- هذا الرجل خطفنى! ستحاكمون جميعكم إن لم تساعدونى!

نظرت حولها تبحث عن أحدهم يتعاطف معها فلم تقع إلا على  
وجوه ضاحكة ونظرات ساخرة. لا أمل إذن بأن يساعدها أحدهم  
فالجميع وحدة متماسكة والأفراد يتعاونون حتى على أعمال الشر.

أدخلها رادولف إلى العربة ثم خرج بسرعة بعد أن أغلق الباب بعنف. هنا، في هذه العربة، لن يتدخل أحد لانقاذها. عليها أن تواجه وحدها الرجل الذي يبدو زعيماً أو ملكاً على قومه يذعنون لمشيئته بدون نقاش. اغرورقت عينها بالدموع فساعة العقاب حلت. شرعت تبحث في العربة عن وسيلة للخروج من سجنها الصغير. مكان قذر فيه أريكة وطاولة مستديرة مع بعض الكراسي العتيقة. في الطرف الآخر سرير ضيق، وعلى الخزانة كتب قديمة ووضع مصباح زيتي يغطيه غبار سميك. كأن أحداً لم يشغل هذه العربة منذ وقت طويل فالقدارة المنتشرة في أرضها وعلى محتوياتها لا توصف.

في خلدها تدور أسئلة كثيرة. من هو رادولف بالحقيقة؟ من هو بوريل الذي تحدث رادولف وأولاف عنه بكثير من الجدية؟ لكن السؤال الأكثر أهمية والحاحاً يبقى: ماذا سيكون مصيرها؟

## ٢. الفجری وأنا

دخلت لين إلى زاوية صغيرة في العربة يفترض أنها مطبخ. كانت فيه مغسلة قذرة وفرن صديء قديم يعمل على الغاز. لم تتمكن الفتاة من تحمل الرائحة التي تدعو إلى الغثيان. ولما همت بالخروج سمعت أصواتاً قريبة في الخارج. أطلت من النافذة الضيقة فرأت رادولف وأولاف يتحدثان وحيدتين بالانجليزية فريضة لين تحت النافذة من دون أن تدع رأسها يطل وأخذت تسترق السمع.

- أعرف أن الأمر يقلقك يا رادولف لكنه حر في اختيار طريق حياته.

- لا تقنعني أنه محق في سلوك هذا الطريق!

- أوافق معك والدليل أنني بحثت عنه كثيراً كما طلبت مني، لكنه مراوغ كبير ولا يهدأ في مكان.

- أعلم ذلك يا أولاف وإلا لما كنت رأيتني هنا، فقد أخبرني أيفور أنه في هذا المخيم.

- كنت قادماً إلى هنا اذن عندما خطفت الفتاة؟

- بالطبع، وإلا لما...



- ماذا تنوى أن تفعل بها يا رادولف؟  
 - سأجعلها تدفع الثمن غالباً لضربى بالسوط ولوصفها إياى  
 بالفجرى المتشرد، حثالة المجتمع.  
 - أعذرهما يا رادولف، فالتاس يملكون أفكاراً خاطئة عن الفجر.  
 - أنا لا أعذر أحداً يجرؤ على إهانتى!  
 - لكنها تبدو فتاة طيبة فلا تحطم حياتها.  
 تكلم الفجرى الشاب بكل تصميم وجدية:  
 - اسمع يا صديقى، أنا أنوى أن أنال منها التعويض المناسب عن  
 إهانتى، فإذا لم تتمكن من تحمل ذلك لن يكون الذنب ذنبى.  
 أدركت لين من لهجته القاسية أن الرجل ليس مستعداً للعودة عن  
 قراره وأنه ينصاع لغرائزه ضارياً عرض الحائط كل الاعتبارات، حاول  
 اولاف من جديد أن يشيه عن عزمه:  
 وأنت تعلم أن الاختطاف جريمة خطيرة يعاقب عليها القانون  
 بصرامة. عليك أن تفكر بوضعك الخاص يا صديقى فنحن بغنى عن  
 المشاكل. ظننت أن الأيام كانت كفضيلة بتهدئة طباعك الحادة بعض  
 الشئ، وبتعليمك كيف تكبح جماح أعصابك.  
 تساءلت لين عن الوضع الخاص الذى تكلم عنه الفجرى الكهل.  
 أيعنى به أن رادولف هو «ملك» الفجر فى كل أيرلندا؟ تفسير معقول  
 قد يوضح كلمة الوضع الخاص والاحترام الذى أظهره هؤلاء القوم  
 للرجل، كما يوضح كذلك عدم استقراره فى مخيم واحد وتقله المستمر  
 من منطقة إلى أخرى.

- أتعقد أنى خائف من العقاب يا اولاف؟ ألا تعلم أنى لا أحسب  
 حساب النتائج عندما أقرر الإقدام على خطوة أنا مقتنع بها؟  
 فهمت الفتاة من كلماته أنه معتاد على هذه الأعمال وأن خبرته  
 فيها طويلة بحيث لا يخاف الوقوع فى أيدى العدالة. لكن اولاف ما  
 يزال قلقاً. ولم يشارك صديقه مرحة إذ قال بكل جدية:  
 - أحس بنفسى مسؤولاً لأنى كنت أعلم منذ البدء...  
 قاطعه رادولف مطيباً خاطره:  
 - أشكر تفهمك يا عزيزى.  
 صمت الكهل قليلاً ثم واصل محاولاً اقناع صديقه الشاب:  
 - ولكنى أسف للفتاة المسكينة.  
 - لا أدرع للأسف لأنها أوصلت نفسها إلى هنا بحماقتها!  
 - هى انجليزية أليس كذلك؟  
 - تماماً.  
 - إذن لا بد أن يكون أحد ما قد بدأ البحث عنها، عائلتها ربما...  
 - غير ممكن يا اولاف فالفتاة وحيدة هنا.  
 - من قال ذلك؟  
 - قالت لى بأنها تمضى أجازتها فى أيرلندا وتجوب البلاد وحيدة  
 بسيارتها.  
 - اسمع يا رادولف، تبريراتك لا تقنعنى بصحة عملك.



- لن أراجع عن خطوتي أبداً!

- ولكنك ستوقع نفسك فى مشكلة كبيرة.

- لا تقلق يا صديقى. لن يبحث عنها أحد إذ يفترض أنها تركت الفندق الذى كانت تقيم فيه واتجهت إلى منطقة جديدة.

- ولكن أين السيارة التى تكلمت عنها؟

أخبره رادولف بكل التفاصيل وبأن السيارة مفتوحة والمفاتيح ماتزال بداخلها. عندها فقط أدركت لين أنها أخطأت عندما صرحت للرجل بحماقة لا مثيل لها بكل ما يسهل له اتمام جريمته.

ابتعد الرجلان قليلاً فلم تعد الفتاة تتمكن من سماع بقية الحديث ولكنها استطاعت التقاط جوهره.

- عليك احضار سيارتها بأسرع ما يمكن يا اولاف كى لا تبدأ الشكوك تحوم حول وجودها فى الموقف.

- لا ارتاح لعملك يا صديقى. هذا ليس من طبيعتك بل...

تلاشت الأصوات إذ ابتعدا كثيراً عن النافذة. ففشلت لين مرة جديدة فى اكتشاف اللغز الذى بدأت تشعر بوجوده فى حياة هذا الفجرى الذى ظهر من العدم ليقلب حياتها.

ماذا سيفعل الآن بالسيارة؟ لكم كانت غبية عندما اطلعت على كل شىء. لو لم تفعل لكان أحدهم لاحظ بقاءها الطويل فى الموقف ولأبلغ الشرطة بالأمر. ولكن لا يمكن أن تضيع آثار لين لمدة طويلة. فمن المحتم أن يفتقدها زملاؤها عندما تنتهى أجازتها وتمتضى عودتها إلى

العمل. كما سيفتقدها صاحب البيت عند استحقاق إيجار شقتها الشهرى. سيأتى من ينقذها من قبضة الفجرى عاجلاً أم آجلاً. لكن المقلق أن هذا الرجل يملك ثقة كبيرة بنفسه تجعلها تخاف من أن يتدبر الأمر بشكل محكم ينجو فيه من أى عقاب على جريمته النكراء.

أين هو الآن؟ غيابه يزيد من قلقها وتوترها. كم يمارس هذا الرجل لعبة الحرب النفسية ببراعة! أه لو يستطيع اولاف اقتناعه بالافراج عنها! أمنية بددتها أصوات ثرثرة فى الخارج باللغة الفجرية شعرت لين من دون أن تفهم شيئاً أنها موجهة إليها. بدأ قلبها يخفق بقوة وأحست بأن جسمها مشلول وعقلها لا يفكر. صار كل كيائها منصباً على اللحظات الزاحفة ببطء، تحمل فى كل ثانية جبلاً من القلق والخوف. متى سيأتى رادولف؟ وماذا سيفعل عندها؟ كم كانت متهورة عندما ضربته بالسوط! لكن الطريقة الهادئة التى حياها بها فى الغابة وكأنه يراها للمرة الأولى أجمت فى صدرها نار الغضب. كيف استطاع مواجهتها بكل هذا الهدوء بعد الحادثة الأولى قرب المخيم؟ استحق الضرب وأن تكن النتيجة وجودها هنا سجيناً رجل شرير ينوى إيذائها. وبين أناس لم يسمعوها بالشفقة ووخز الضمير. من سينقذها من المصير الذى أعده ويعددها لها خاطفها؟

جن جنونها بعد تحليلها للموقف. فحاولت فتح الباب، ثم أخذت تدق بيديها عليه وهى تعلم أن عملها لن يجدى نفعاً. لكن اليأس دفعها إلى هذه المحاولة الفاشلة. انهارت وسقطت على الأرض تجهش بالبكاء فى حين تعالت فى الخارج قهقهات الفجر المتلذذين بعذابها ومعاناتها. أخذت لين تدور فى الغرفة، تقيسها طولاً وعرضاً. تجلس على



كئيبه، تنهض لترتمي على السرير... تسمرت السجينة فى مكانها إذ سمعت وقع خطوات قريبة واستقرت عينها على مقبض الباب تنتظر فى هلع. أدير المفتاح فى القفل ودخل راودلف. رماها بنظرة عدم اكترات وأقفل الباب وراءه.

- حسناً يا صغيرتى، وصلنا الآن إلى ختام المسرحية.

ابتسم هازئاً وتحسس الجرح فى خده. ارتجفت لين عندما رأت عمق الجرح الذى سببته للرجل لأنها لم تؤذ أحداً فى حياتها من قبل، لكن وقاحة الفجرى دفعتها إلى اللجوء إلى العنف معه.

أصبحت لهجة راودلف أمرة عندما تكلم من جديد:

- تعالى إلى هنا لتنفذى العقاب على وصفك لى بحثالة المجتمع.

وصاح فيها بعنف:

- تعالى إلى هنا!

زاد جرحه احمراراً بسبب الغضب ولم تجد لين بدأ من الاذعان لمشيئته خوفاً من بطشه. أمسك بمعصمها وشدها إليه بقوة بالغة حتى كاد أن يحطم عظامها. لم تستسلم الفتاة له بل أخذت تقاوم بكل ما أوتيت من قوة فيما هو يقهقه عالياً ساخراً من مقاومتها. صرخت لين من الألم عندما أطبق بيده الفولاذية على شعرها وأرغمها على رفع وجهها إلى عينيه الغامضتين. وبوحشية فائقة أخذ راودلف يهزها بقوة فى غضب فيما الدموع تنهمر من عينيها سيولاً. حتى أنها عندما نظرت إليه رأت الصورة مشوشة كأنها أمام شبح لا أمام إنسان من لحم ودم. ومما زادها حيرة وتعجباً اخراجه منديلأمن جيبه ليمسح

دموعها بكل رقة وحنان!

- لقد أصبحت الآن أكثر وداعة، ولكن أقل إهانة ووحشية.

نظرت إلى الرجل بارتباك. وجه جامد كأنه محفور فى الصخر، نظرات باردة لا تتم عن أى احساس. ماذا يدور فى خلدك؟ ماذا وراء هذه الملامح الهادئة؟

- أعندك شىء تقولينه قبل أن أنفذ انتقامى منك كاملاً؟ كنت أنوى أن أستعمل السلاح نفسه.

أشار راودلف إلى السوط المرمى على الأرض وتابع:

- لكن آثار الجروح تفسد جمال وجهك. لذلك طرحت فكرة جلدك جانباً واستعضت عنها بطريقة انتقامية أخرى ممتعة.

رأت لين فى ابتسامته سخرية لا متناهية وفى عينيه علامة الانتصار. وفى الوقت نفسه أدركت أنها أخطأت عندما أهانته وأنه لن يغفر لها ذلك. لقد وصفت الفجر بحثالة المجتمع ورعاع القوم وراودلف مصمم على جعلها تدفع ثمن ذلك غالباً.

كرر الفجرى سؤاله:

- أعندك شىء تقولينه قبل أن أنفذ انتقامى كاملاً؟

وجدت الفتاة صعوبة فى نطق الكلمات:

- أتريدنى أن أطلب منك الرحمة؟

- مع الأسف الشديد لن يجدى استجدائك نفعاً لأنى لست ذلك الشخص المتسامح.



هز رادولف رأسه ضاحكاً:

- أقتلك؟ خسارة أن يموت هذا الجمال. لا، لن أقتلك لأنى لا أريدك جثة هامة بل امرأة تضح بالحياة.

أنساها الغضب خوفاً فانفجرت:

- اسمع يا حضرة الفجرى. قد أكون تحت رحمتك ولكن لا تتوقع منى أى سكوت لأنك لا تستطيع امتلاك روحى!

- سنرى يا عزيزتى، فلندع ذلك للوقت.

أخذ يداعب شعرها فانفضت وأنشبت أظافرها فى وجهه مسببة له نزفاً جديداً من الجرح.

ولكنها ما لبثت أن ندمت على ذلك لأن الغضب أعماه فكاد يخنقها:

- سأعلمك الآن كيف يعامل رعاع القوم نساءه أيتها السيدة الانجليزية المتحضرة.

توسلت إليه وهى تحاول للممة قميصها الممزق:

- أرجوك ارحمنى! اعتذر.

أكمل رادولف على ما تبقى من قميصها ووقف يحدق فيها بعينى شقى شرير.

- الاعتذار لا ينفع يا حلوتى. أما الدرس الذى سألقنك إياه الآن فنافع جداً!

حملها بين يديه كدمية. حاولت لين أن توظف فيه الرأفة فلم تجد إلا الرغبة فى الانتقام.

ابتعدت لين إلى الوراء ونظرت من النافذة فرأت اولاف يبتعد على الحصان ومعه يتلاشى أملها فى المساعدة... قالت لمختطفها بصوت متهدج تخنقه الدموع:

- لن تنجو بفعلتك. عندما أخرج من هنا سأذهب فوراً إلى الشرطة.

علق رادولف وهو ينظر إلى وجهه المجروح فى المرأة:

- الحديث عن الخروج سابق لأوانه يا عزيزتى فانت جميلة جداً ولن أتركك تفلتين.

تبسم هازئاً وأضاف:

- ربما لن تخرجى من هنا أبداً.

لم تتمكن لين من استيعاب هذه الفكرة وتصورت نفسها سجيناً هذه العربة بقية حياتها...

- ماذا... ماذا تنوى أن تفعل لى؟

رفع حاجبيه وأجاب:

- لا تتظاهرى بالبراءة وتدعى إنك لا تعلمين ماذا سأفعل بك!

علت الحمرة وجه الفتاة خجلاً فأوضحت:

- أعنى ماذا ستفعل بى بعد أن تنتقم منى كما تريد؟

توقف ووضعت يدها على قلبها الخافق بشدة ثم أضافت بهلع:

- هل تنوى أن تقتلنى؟



رادولف المنتصر فى هذه المعركة، المنتقم الساخط الذى سيغلب على أية محاولة تبديها للمقاومة. أخذ يضحك وهو ينظر إلى البقية الباقية من ملابسها، فحاولت ستر نفسها بغطاء السرير. غشاها الخزى والعار وتمنت لو أن يد الموت تمتد لتتخذها من مرارة هذه اللحظات المشينة.

- ما رأيك يا حلوتى بهذا التعذيب البطيء! أعتقد أنك لم تتوقعى ذلك أبداً عندما ضربتتى بالسوط على وجهى، أليس كذلك؟  
- أكرهك، أكرهك... سأقتلك يوماً.

ستكرهيننى أكثر يا حلوتى. ستكرهين الفجرى المتشرد وسوف تستجدين منه الرحمة!

استشفت لين من صوته مرارة إلى جانب الغضب. كأن الرجل يقار كثيراً على سمعة بنى قومه ولا يتحمل أية اهانة توجه إليهم.  
- أن الأوان يا حلوتى ليبدأ الانتقام الممتع.

أغمضت لين عينيها وبكت بمرارة مستسلمة لقدرها المحتوم.

### ٣. بصيص الأمل

تزايد الضجيج فى الخارج وطرق أحدهم الباب فأفاقت لين من ذهولها ولاح لها أمل جديد.

وقبل أن يفتح الباب سمع الرجال فى الخارج يرددون أغنية غجرية فانفجر ضاحكاً. تقدمت امرأتان من مدخل العربة ففرقت لين فى أغطية السرير محاولة اخفاء نفسها والخجل يغمرها. تبادل رادولف بعض الكلمات مع المرأتين ورمى أحد الملتصقين إلى لين فستاناً زاهياً. هوقف رادولف يفكر وينظر إلى الفستان بينما كانت الفتاة تحاول جاهدة فهم ما يجرى. ماذا يخطط لها هؤلاء القوم؟

ألا يكفيها شر خاطفها وحده لتتحمل الآن شرور الآخرين؟

أخيراً نطق رادولف:

- ولم لا؟

سألته الفتاة والخوف يعصر قلبها ويمحو بقية الأمل الذى لمحتة بعد أن سمعت الطرق على الباب:

- ما الأمر؟

وأردفت بنبرة شبه هستيرية:

- قل لي ما الأمر!

- القوم يطالبونى بالزواج. أليس مضحكاً أن فرداً من حثالة المجتمع يتزوج فتاة من نخبة المجتمع! وجدت أنهم على حق فقد أن الأوان لأتخذ لنفسى امرأة.

ثم أضاف بعد أن نظر إلى الفستان:

- احضروا لك فستان العرس، ارتديه!

امتقع وجه لين وصاحت فى غضب باكية:

- لا! لا يمكن لأحد أن يجبرنى على الزواج.

أمسكت بالفستان ورمته فى وجه الواقفين على الباب ثم صرخت:

- ارحلوا عنى وخذوا هذه القذارا معكم!

انحنى رادولف ليلتقط الفستان وبإشارة واحدة من يده أبعده قومه الملتفين ونوايا الشر فى أعينهم بعد أن أهانتهم العروس الغنيدة. ثم أغلق الباب بعنف واقترب من السرير مهدداً متوعداً.

- ارتدى الفستان.

مررت لين لسانها على شفتيها الجافتين وشرعت فى محاولة تضليل للتهرب من شرك الزواج.

- ولو أننى كنت متزوجة؟

نظر إلى يدها اليسرى ليرى ما إذا كان فى اصبعها خاتم زواج.

- لا أعتقد أنك متزوجة. ارتدى الفستان إلا إذا كنت تريدين أن أفعل ذلك بنفسى.

أخذ عقل الفتاة يعمل بسرعة فوجدت أن فى الازعاج لمشيتها والخروج من هذه الغرفة فرصة للحصول على مساعدة أحد والخلص من قبضة خايلها. فقالت له وعلى جبينها علامة الرضوخ:

- حسناً، لا خيار لى إلا بقبول الزواج. وعلى أى حال يظل الزواج أفضل من...

أكمل الفجرى الجملة ضاحكاً:

- أفضل انتقامى البشع؟

- هلا تفضلت بالخروج لأغير ملابسى؟

- ولماذا تخجلين من زوجك؟

- أنت لم تصبح زوجى.

كان عقلها مايزال يفتش عن وسيلة للخلاص. كم هى المسافة بين المخيم والطريق العام؟

وهل يسمعها أحد إذا صرخت مستغيثة؟

نفذ صبر رادولف من الانتظار فقال:

- لقد نفذ صبرى فلا داع للخجل! انهضى من السرير وارتدى ثوب العرس.

نهض الرجل من كرسيه غاضباً فقالت له بازعاج وخوف:

- أرجوك عد إلى كرسيك فسانفذ مشيتك.



جلس العجري في حين أنها وجدت صعوبة بالغة في التحرك أمام هذا الرجل الخبيث، الوقح، الذي سبب لها إذلالاً ما بعده إذلال. وعلى الرغم من صعوبة الموقف لمحت الفتاة في عيني خاطفها بريقاً مختلفاً عن الشر والسوء، رأت ما يشبه الإعجاب!

كان الفستان طويلاً، ولحسن الحظ، نظيفاً. وقفت لين أمام رادولف الذي أمسك بيدها وقال:

- ما رأيك. أليس الفستان جميلاً؟

ثم انتبه إلى أمر تافه بالنسبة إليه فسألها:

- على فكرة ما اسمك؟

وجدت لين في غرابة الموقف ما يضحك. العريس يسأل عن اسم عروسه قبل دقائق من الزواج!

- اسمي... لين.

- اسم جميل. لين ماذا؟

- لين سلدون.

- تعرفين اسمي على ما أعتقد.

- لست بحاجة إلى أن أعرفه لأنى لن أناديك على الإطلاق.

- أول أمر على المرأة العجرية أن تعلمه هو الطاعة العمياء لزوجها ستعتادين على ذلك تدريجاً، أما الآن فهيا لأن القوم بانتظارنا.

في الخارج، نظرت لين إلى الطريق فتتفست الصعداء لأنه ليس بعيداً جداً عن المخيم. لربما تمكنت من الافلات أو لفت انتباه أحد يمر

بسيارته فيأتى لانقاذها. لكن رادولف وهو مه كانوا يعلمون نواياها، لذلك وجدتهم يحيطون بها بشكل لا يدع مجالاً لأية محاولة للفرار.

بدأ الرجل المختص باتمام المراسم الشكلية الخاصة بالزواج عند الفجر، والتي لم تفهم منها لين شيئاً. وقفت تراقب بصمت المشاهد الغريبة التي تمر أمامها كأنها مجرد متفرج لا علاقة له بما يجري. هل زواجها هذا شرعى؟ ولكن أمر الزواج لم يعد مهماً إزاء تصميمها النهائي على الفرار مهما كانت الصعاب ومهما كلفها ذلك من تضحيات. زادها تصميمها شجاعة وإيماناً بالخلاص.

صحت فجأة من شرودها على صوت زوجها العجري رادولف:

- تعالى يا زوجتى، سيصطحبنا المحتفلون الآن إلى عشنا الزوجى.

أخذ الرجل يضحك بينما كانت لين تبكى. وضعت يديها خلف ظهرها عندما حاول زوجها وضع يدها في يده مما أثار ضحك الجميع. لكن الغريب في الأمر أن خوفها تحول إلى غضب بارد وتصميم على الانتقام.

أمسك رادولف بيدها ووضعتها عليها بنعومة كأنه يمازحها. ثم رافقهما الجميع إلى العربة وكان البعض يرقصون ويفنون احتفالاً «بالمناسبة السعيدة» فقد تخلى الزعيم أخيراً عن العزوبية.

أفاقت لين على أشعة الشمس المتسللة من بين الستائر تداعب عينيها. تدافعت الصور في مخيلتها، صور الاهانة والاذلال. تمننت لو أنها لم تقاوم بشراسة وتبعت زوجها بالعجري القذر. فلربما كان عاملها بشكل أقل شراسة مما فعل. لقد سببت بتصرفها الأخرق



غضبه فكان عليها بالتالي تحمل النتائج.

كان رادولف مصمماً على إذلالها، فلماذا حاولت إيقافه وهي تعلم أن ما قامت به عقيم لا يفيد مع هذا الشخص؟ لكن عدم استسلامها أعطائها قدراً من الثقة بالنفس سوف يجعلها تصمد أمام ما ينتظرها من صعوبات ومشاق.

جلست تنظر إلى الرجل النائم إلى جانباها. عيناه المغمضتان كعيني طفل برىء ينام في هناء بين أحضان أمه. يا لتناقض وحشيته مع هذه القسمات الهادئة! رغبت لين بصفعه لكونه يتمكن من النوم هكذا بعد كل ما سبب لها البارحة من إذلال. تحرك الرجل أخيراً وفتح عينيه يحدق حوله وكأنه لا يعرف أين هو ومع من.

- صباح الخير يا زوجتي العزيزة. أرجو أن تكوني قد نمت جيداً.

لم تنتظر لين طويلاً حتى بادرت به بالسؤال:

- قل لي ماذا سنفعل الآن. هل ستبقيني هنا لأعيش مع هؤلاء القوم؟

- وأين تريد العيش؟ الزوجات يسكن عادة مع أزواجهن.

- لكنني لن أجد شيئاً أفضل هنا.

- في الوقت الحاضر ستهتمين بزواجك.

- ماذا تعني بالوقت الحاضر؟

- أعني حتى نبدأ بانجاب الأولاد. والفجر ينجبونهم بكثرة كما لاحظت.

امتقع وجه لين وهي تحلل الفكرة الجديدة التي إن تحققت ستعتقد

أمور حياتها إلى الأبد.

- أتمنى أن لا أنجب أي ولد منك!

تكلم رادولف بنبرة فاجأت زوجته لما غلفها من ألم وحسرة:

- ستجيبين أولاداً لأنى ككل الرجال أرغب بوجود وريث لي.

- وريث؟ وماذا تملك لتعطي وريثك هذه العربة الحقيرة؟

- دعيني أقدم لك نصيحة غالية يا لين. لا تغضبيني بعد الآن وإلا ندمت

على ذلك حيث لا ينفع الندم. وأحذرك أنك لم تري منى الأسوأ بعد!

تمتت الزوجة الباسة:

- كان الله في عونى...

رمقها الفجرى بنظرة ثاقبة وقال:

- تماماً. وخلافاً لما تعتقدين، أنا أمتلك الكثير لأقدمه لوريثي.

- طبعاً فأنت تملك هذه العربة القذرة، وسمعتك السيئة...

لم تتمكن لين من المتابعة إذ أخرسها الألم عندما أطبق رادولف

بقبضته الحديدية على ذراعها.

- لا تعتبرى مسألة فقري مسلماً بها ولا تحاولي تخمين ممتلكاتي.

زاد من شدة قبضته وأضاف:

- يبدو أن على تأديك يا امرأة...

تحررت لين من قبضته وحاولت النهوض من السرير. لكن رادولف

كان أسرع منها فشدها إليه بعنف واستسلمت بعد مقاومة يائسة

لاصراجه...



بعد حوالي الساعة جلسا إلى الطاولة لتناول طعام الفطور. لم يكن رادولف مهتماً بالأكل بقدر ما صب اهتمامه على مراقبة زوجته مثلثداً بمعاناتها.

سألها وهو يتحسس الجرح في خده.

- هل ندمت على فعلتك هذه؟

- استحققت الضرب وأنت تعلم ذلك.

- استحققت؟

بدا رادولف مذهولاً فتساءلت لين ما إذا كان قد نسي أنه هاجمها عندما تعطلت سيارتها قرب المخيم.

- أنسيت عندما حاول الفجرى الحقيق...

لم يدعها رادولف تكمل إذ قلب المائدة وهب من كرسيه يعميه الغضب. فتراجعت لين خائفة حتى التصقت بعائط العربة وهي تلوم لسانها الطويل الذى أثار أعصابه.

تقدم منها الرجل مزمجرأ:

- ستعتذرين على هذه الإهانة! وستعتذرين بكل تذلل وضعة.

حدقت لين مشدوهة في هذا الوجه الشرير وهي لا تكاد تصدق أن كل هذا الحقد يمكن أن يتجمع في إنسان واحد. لما وجدها ساكنة جذبها الفجرى إليه وأخذ يهزها بقوة كدمية صغيرة حتى كادت تصاب بالاغماء. أخيراً، قال وهو يعض على أسنانه:

- أنا أنتظر الاعتذار!

لم تدع لين الفرصة تفلت من يدها فقالت في هلع وذل:

- أعتذر على ما فعلته...

توقف فجأة تخنق صوتها الدموع المنهمرة من عينيها بغزارة. الرجل كان يستحق الضرب وإلا لما فعلت لين ذلك، وعلى الرغم من صواب موقفها فقد أجبرها على الاعتذار صاغرة على أشياء قالتها عن اقتناع تام.

رفعت عينيها إلى وجهه القاتم، إلى الملامح المتعالية التي تكسبه تفوقاً ومهابة. من يراه يظنه أحد النبلاء ولا يمكن أن يشك بأنه فجرى شرير. فجرى يبدو أرسقراطى متعجرف... أمر محير فعلاً.

- أظهرت تعقلاً في الاعتذار يا حلوتى، لأن أية كلمة مهينة كانت ستكلفك شهر نقاهة!

حرر كتفيها ونظر إلى الطاولة المقلوبة وإلى الأطعمة والصحون المتناثرة على الأرض. اقشعر بدن لين تمززاً من القذارة الطاغية في هذه العربة. أمرها رادولف بالتقاط كل ما تثار على الأرض فلم تجد بداً من لاذعان له فيما هو جالس على الأريكة يراقب ما تفعل.

بعد قليل أبلغها رادولف أنه سيفيب طوال النهار.

- إلى أين ستذهب؟

- هذا ليس من شأنك. كما أحب أن أذكرك بالأا تحاولى الفرار لأن العربة ستكون مراقبة من جميع الجهات.

وناظراً حوله:

- أريد أن أجد كل شيء نظيفاً ومرتباً عندما أعود. إلا إذا أحببت أن أذيقك طعم العنف!



كانت لين تعلم أنه لا يمزح وأنه على استعداد لضربها فلم تجب على تهديداته.

لم يكن عملها بسيطاً البتة فالعربة قدرة فعلاً وتحتاج إلى أيام لتصبح نظيفة. بدأت أولاً بتنظيف الأثاث بقطعة قماش وجدتها في الدولاب القذر. المرحلة الثانية كانت تنظيف أرض العربة والأوساخ المتجمعة، منذ سنوات على ما يبدو، شكلت في بعض المواضع تلالاً صغيرة اضطربت لين لاستعمال السكين لنزعها.

ألا يكفيها أنها تعيش مع زوج وضيع ليزيد الطين بلة وجودها في هذا المكان القذر؟ حتى رادولف أظهر بعض القرف من القذارة وكأنه ليس معتاداً على هذه المشاهد!

جلست لين على الأريكة تستريح وتفكر. فزوجها بدا غريباً في بعض أقواله وتصرفاته. قبل كل شيء في صوته نبرة رقيقة لا يملكها إلا دمثو الأخلاق والمهذبون. لا يصبح قاسياً إلا في ساعات الغضب و«الفجرية»... حاولت ولم تستطع تذكر نبرته في لقائهما الأول. فهو لم يسألها إلا عن السيارة وبعد ذلك انصرف إلى الحركة لا إلى الكلام... ثم هناك الحصان الأصيل الذي كان يمتطيه عند لقائهما الثاني. من أين يمكن لفجري فقير الحصول على مثل هذا الحصان الرائع؟ والأكثر غرابة تمكنه من الوصول إلى هذه المنطقة بسرعة بينما أمضت لين ساعات لبلوغها بالسيارة! هذا يعني أنه استعمل وسيلة أسرع من الحصان بكثير.

أطلقت زهرة الفشل وقررت أخيراً فتح النافذة. وما إن فعلت حتى ظهر أمامها «حارس» شاب لا يتجاوز العشرين من عمره.

قالت له على أمل أن يكون يفهم الانجليزية:

- أريد نفض هذه السجادات.

- سأفعل ذلك بنفسى.

ابتسم الشاب بأدب وهو يتناول منها السجادات فظهرت أسنان لم تر أنصع بياضاً منها من قبل.

- شكراً لك.

لم تنتبه المرأة الشابة لنظرات الفجري الهائمة بوجهها الجميل. ولم يخطر لها بالطبع أنه لم يكف عن التفكير بها منذ أن أحضرها رادولف إلى المخيم.

سألته عندما أعاد السجادة الأولى:

- هل كلفك رادولف بمراقبة العربة خلال غيابيه؟

أوماً بالإيجاب. ثم تمت بصوت هادئ لطيف:

- آسف لقيامى بهذه المهمة.

وجدت لين في موقفه فرصة ذهبية، فاختارت كلماتها بدقة:

- لا عليك فأنت مضطر لاطاعة أوامره، أليس كذلك؟

- الجميع يطيعون أوامر رادولف.

- هل هو ملك الفجر؟

- لا تطرحى على أسئلة لا يمكننى الإجابة عليها يا سيدتى.

فيما كان الشاب ينهى نفض السجادتين الباقيتين، رأت لين عينين



تراقبان المشهد من نافذة عربة أخرى، حارس آخر. ناولها الشاب السجادتين وقال:

- على الذهاب الآن، أرجوك اغلقى النافذة.

- لا تذهب قبل أن أعرف اسمك على الأقل.

نظر الشاب حوله وتكلم بسرعة:

- ادعى كونيل. على الذهاب الآن، والا عرف رادولف بانى تحدثت إليك.

وجدت لين في هذا الشاب نقطة ضعف إذا عرفت استغلالها قد تساعدها على الهرب.

بعد قليل اقتربت من النافذة لترى إذا كان أحد يراقبها.

وعندما لم تجد أحداً فتحتها بهدوء فأطل كونيل.

- هلا أحضرت لى بعض الماء يا كونيل؟

وضعت المرأة في صوتها كل ما لديها من نعومة ورقة عرفت مفعولهما عندما أعاد الشاب الدلو مليئاً بالماء. وناولها إياه بيدين مرتعشتين.

- شكراً جزيلاً.

وأضافت بعد أن تأكدت من عدم وجود متطفلين:

- ماذا يحل بك إذا تمكنت من الفرار؟

- سأقع في مشكلة كبيرة إن حدث ذلك.

- مع زوجي؟

- نعم فهو قد كلفنى بحراسة العربة.

- أيدفع لك شيئاً مقابل ذلك؟

احمر وجه الشاب حرجاً من أسئلتها وقال بخجل:

- فى الحقيقة أنا بحاجة ماسة إلى المال. أتريدين المزيد من الماء؟

- نعم، سأفرغ الدلو أولاً.

ناولته لين الدلو وما إن غاب حتى أخذت تفتش في خزانة العربة

عن قلم فلم تجد شيئاً.

سألته وهى تناوله الدلو:

- أيمكنك أن تحضر لى قلماً لأكتب رسالة صغيرة؟

- لا...

لم تدعه لين يكمل الكلام فتوسلت:

- أنا بحاجة إلى المساعدة يا كونيل! أنت تعلم أنى سجينه هنا وأريد

الفرار بأى ثمن!

هز الشاب رأسه وابتعد بسرعة بعد أن أغلق النافذة.

ظلت لين قرب النافذة تراقب كونيل الجالس على مدخل احدى

العربات تحاول أن تلفت انتباهه. لكنه تحاشى النظر إليها فقررت

أخيراً الانسحاب كى لا يلاحظها أحد ويخبر زوجها بالأمر.

جلست تفكر فى طريقة كفيلة بكسب الشاب إلى جانبها. قد يكون

المال وسيلة صالحة لذلك. لكنها تركت حقيبة اليد التى تحوى مبلغاً

محترماً فى صندوق السيارة. هل يقبل كونيل بمجرد وعد باعطائه

المبلغ بعد هروبها؟ ولكن كيف يصدقها وكيف تصل إليه لتعطيه المال؟

خطة محكوم عليها بالفشل.

تهددت لين وقالت لنفسها:

- لا فائدة من كل الخطط. سيسجنني هذا الشرير هنا حتى يمل

منى ويشعر بحاجة إلى التغيير.

كانت واثقة من أن هذا الملل لن يحل قريباً. فعليها أن تتأقلم نفسياً  
للتحمل الأيام الطويلة الآتية. رادولف معجب بها كثيراً وهي لا تتكر أنه  
وسيم جداً برغم قسوته.

أين ذهب؟ أين يغيب كل هذه الساعات؟ هي لا تتصور زوجها،  
كغيره من الفجر، ينتقل من باب إلى باب عارضاً إصلاح مقلاة أو  
غلاية، فطبعه المتغطرس يمنع عليه ذلك.

مر الوقت ببطء مزعج ولين جالسة في العربة لا تجد شيئاً تفعله  
بعد أن انتهت من التنظيف وحضرت العشاء لزوجها. أخذت تقيس  
العربة عرضاً وطولاً كأنها قطعة سجينة في قفص. إلى متى يمكنها  
تحمل هذه المعاناة؟ أعصابها المحطمة لن تساعدها على اجتياز  
الامتحان الصعب. يا ليتها لم تستعمل السوط في تلك اللحظة  
المشؤومة! بلى، حسناً فعلت لأنه يستحق الضرب، ولأن أي فتاة غيرها  
كانت فعلت الشيء نفسه مع شخص حاول الاعتداء عليها...

لم تعد لين تحتمل الوحدة حتى أنها شعرت بالارتياح عندما عاد  
رادولف في المساء منهوك القوى، لكن الملاحظة التي أبدتها فور  
وصوله أعادت توترها وغضبها.

- يا للنظافة! يبدو أنك قررت أن تصبى زوجة مطيعة، قرار حكيم.

نظر رادولف إلى وجهها ولاحظ أن عينيها باكيتان ثم قال:

- لا تحزني على حالتك لأنني قد أجعلها أسوأ.

صاحت فيه غير أبهة بالعواقب:

- أسوأ؟ وهل هناك أسوأ من هذا؟

نظر إليها وعلى شفثيه ابتسامة مأكرة قبل أن يجيب:

- بإمكانى مثلاً أن أضربك يومياً.

امقتع وجهها ثم قالت بصوت شبه هستيري:

- أكرهك. لا بد أن أنتقم منك يوماً أيها ال...

قاطعها الفجرى بضحكته فأكملت:

- سأقتلك إذا استطعت!

- أنا واثق أنك ستسرين كثيراً لو رأيتني ممدداً على الأرض أسبح

في بحر من الدماء.

ثم اردف:

- اجلسي وأخبريني عن ظروف حياتك، عن وظيفتك مثلاً.

- كنت أعمل في شركة، وعلى فكرة سيبدأ زملائي بالتحري عنى قريباً.

- سأعالج هذا الأمر يا عزيزتي. أما الآن فاخبريني عن نفسك.

نظرت إليه باستغراب فلماذا يهتم لمعرفة خصوصياتها؟ على أي

حال هدا غضبها وشعرت بالسرور لوجود أحد قربها تتبادل معه

الحديث، وأن يكن هذا «الأحد» شخصاً تكرهه حتى الموت.



- أسكن في شقة صغيرة بلندن.

استفسر العجري وهو يتفحص أظافره الأنيقة التي يحرص جداً على نظافتها:

- تسكتين وحدك؟

- نعم أسكن وحدي.

- أنت لست مخطوبة إلى أحد على ما أعتقد وإلا لما جئت إلى هذه البلاد وحدك.

كانت فعلاً حمقاء عندما أطلعتته على هذه الأشياء في الغابة. لكن رعبها كان شديداً إلى درجة أفقدتها السيطرة على لسانها.

تابع رادولف استجوابه:

- ماذا كنت تعملين في لشركة؟

أطلعتته لين على التفاصيل وعيناها تراقبان ثيابه. لقد أبدلها بثياب جديدة، كما أن شعره يبدو مغسولاً. أين أمضى النهار ومن أين أتى بالثياب؟ لربما كان يملك بيتاً في الغابة حيث التقته أو في أي مكان آخر.

- سنحضر سيارتك إلى هنا يا عزيزتي فهي قد تقيدنا.

- أيها اللص! لا أشك في أنك سرقت الحصان أيضاً!

- حذار من اللعب بالنار! الزوجة العجرية لا تكلم زوجها بهذه الطريقة لأنها تعتبره دائماً السيد المطاع.

- أما أنا أيها العجري الساقط فاعتبرك وقومك أناساً منحطين!

هب رادولف من مقعده كلمح البصر وأمسك بشعرها مسبباً لها ألماً فظليعاً. لقد أوقعها لسانها في ورطة جديدة كانت بغنى عنها. ومن حسن الحظ أن طلبه اقتصر على الاعتذار فكان له ما أراد. تمكنت بذلك من التخلص من الضرب.

فلم تجد سبيلاً إلى حبس دموعها وإيقاف ارتعاشها.

أخيراً ابتعد عنها العجري ووقف في وسط العربة صامتاً. ساد الجو سكوت مطبق أنهاء رادولف قبل أن يقول بصوت رقيق:

- لين، لماذا تدفعينني إلى معاملتك بهذه الطريقة؟

ذهلت المرأة لهذا التبدل العجيب فأخذت تحديق في وجهه دون أن تفهم مراده. بعد ذلك عاد الرجل إلى طبيعته نادماً على ما بدر منه من رقة فأمرها:

- حضري طعام العشاء!

جلسا يتناولان العشاء بصمت قبل أن يفجر رادولف قنبلته الجديدة.

- ستكتبين إلى الشركة لتبلغى زملاءك أنك قررت الزواج...

قاطعته لين قائلة:

- أكتب! هل تظن أنه بإمكانك إجباري على الكتابة هكذا بكل بساطة؟

تمالك رادولف نفسه وحذرهما:

- حاولي ألا تقاطعيني يا امرأة. ستكتبين الرسالة بدون نقاش.

تناول الشوكة وتأكد من نظافتها قبل أن يستعملها ثم أضاف:

- كما ستوجهين أيضاً رسائل إلى جميع أصدقائك لتعلميهم بالأمر.

اسكتها بإشارة من يده إذ حاولت التعليق.

- لا تحاولي الاعتراض، ستفئذين أوامري بحذافيرها.

- ليس بوسعك أن تجبرني على ذلك!

أدركت لين أن في صوتها ضعفاً، لأنها كانت تعلم أن الطاعة هي السبيل الوحيد لتفادي العنف. وأن رادولف لا يقبل بأقل من الرضوخ والاستسلام. والدليل على ذلك أنه ناولها بعض الأوراق وقلماً فجلست الزوجة تكتب كما أمرها زوجها والغصة في حلقها تكاد تخنقها.

سيستغرب زملاؤها وأصداؤها أمر الزواج لكنهم لن يجدوا سبباً لعدم تصديقه وسيكفون عن البحث عنها. بعد أن انتهت خرج رادولف ليعبث بالرسائل في البريد.

بعد خروجه سمعت طرقتاً خفيفاً على النافذة. نظرت لترى من الطارق ففوجئت لما رأت وجه كونييل وركضت لتفتح له.

قال الشاب بصوت لاهت:

- أحضرت لك القلم يا سيدتي.

- لا أعرف كيف أشكرك! عد عندما تستطيع لأسلمك الرسالة.

أقفلت لين النافذة بسرعة وخيأت القلم وهي تأمل أن يكون كونييل جاداً مخلصاً، وأخذت تصلي لئلا يكتشف زوجها اللعبة.

غاب رادولف ساعتين قبل أن يعود حاملاً حقيبتيتها بعد أن جلب

السيارة من الموقف كما وعد.

- افتحي الحقيبة الكبيرة.

- لماذا؟

- لا بد أن لديك ملابس جميلة.

رمتها بنظرة الخبيثة وأضاف باللهجة الحادة التي تكرهها لين:

- افتحي الحقيبة!

أطاعت مرغمة وشرع رادولف في غريلة ملابسها إلى أن وقع اختياره على فستان قطني أحمر.

- هذا ما سترتدينه الليلة.

ناولها الفستان لكنها رمتها في وجهه فقال ساخراً:

- سأعتبر عمك دعوة لألبسك إياه بنفسى.

ضحك العجري طويلاً وهو يتفرج على زوجته تحمر خجلاً. لكن لين لم تجد هذه المرة في نظراته ما يخيف أو ينفر، بل تنامى في داخلها شعور مبهم تجاه هذا الرجل القاسى المتلذذ بعذابها.



ترددت لين في الاجابة لأنها لا تريد الاعتراف له بأنه يملك سطلوة  
وجلالاً.

- أنت تختلف إلى حد ما عن باقي قومك.

- مختلف؟

- نعم مختلف.

- كيف يمكنك أن تقارني بيني وبين قومي وأنت لم تتعرضي إلى أحد  
منهم جيداً؟

- راقبتهم من النافذة وسمعتهم يتكلمون.

- أتعتبرين أن هذا كافياً؟

- أشعر كأنني أمضيت سنتين هنا لا يومين!

- ألن تسخني الماء لتغسلي شعرك؟

- لن أستطيع غسل شعري في هذه الأنية الصغيرة.

- ماذا تقترحين إذن؟

- هل بإمكانك أن تحضر وعاء أكبر؟

- سأبحث عن واحد.

لا تعلم بين ما الذي دفعها إلى طرح هذا السؤال المفاجيء على زوجها:

- هل صحيح أن العجر يهددون الناس بحلول اللعنة عليهم إذا لم

يعطوهم ما يريدون؟

لم ينزعج رادولف للسؤال خلافاً لتوقعها .

## ٤ . النفق المظلم

في اليوم التالي خرج رادولف باكراً ليحلب لزوجته بعض الماء كي  
تغسل شعرها . عندما رجع قال لها بنبرته المتعالية:

- هيا اغسلي شعرك فالماء وفير .

نهرته ونفسها تجيش بالغضب:

- لا تكلمني بهذه الطريقة وكأنني عبدة!

- وجدت الكلمة الصحيحة . أنت عبدتي .

- لا تعتبر نفسك سيدي! من تكون على أي حال؟ ربما كنت ملك

العجر لتعامل الناس بطريقتك هذه؟

أجاب ضاحكاً:

- حسناً أنا ملك العجر!

يا له من مخلوق ساذج لا يترك فرصة للهزء منها .

- كلامك يعني بوضوح أنني مخطئة .

- ما الذي يجعلك تظنين أنني ملك العجر؟

- أتؤمنين حقاً بذلك؟

- لا، لكنى أعرف كثيرين يخافون من لعنة الفجر.

وفيما هى تبحث فى حقيبتها عن الشامبو أوقعت كتيباً على الأرض. التقط رادولف الكتيب وفى عينيه اهتمام كبير .

- من أين حصلت على هذا الكتيب؟

- من قصر السيد دوغى الذى زرتة يوم التقيتك.

- ومتى قمت بهذه الزيارة الممتعة؟

كان سؤال الفجرى ملحاً إلى درجة كبيرة.

- يوم السبت الماضى.

قادتها ذكرى الحداثق إلى التفكير بالهرب وتذكرت أن سيبلها الوحيد إلى الخلاص هو المال الموجود فى حقيبتها والذى ستغرى به كونيلى ليساعدها على الافلات من قبضة خاطفها.

- السبت الماضى...

- قبل أن تقوم باختطافى بيوم واحد.

هز رأسه وهو يفكر عميقاً ثم سألها:

- ما رأيك بحدائق القصر؟

- لماذا تسألنى؟ هل تعرف الحداثق لتطلب رأىى فيها؟

بدا الفجرى مستمتعاً بهذا الحديث فأجاب:

- نعم، زرتها عدة مرات.

مرة أخرى زل لسانها إذ قالت مستغرية:

- كيف سمح لك الحراس بالدخول؟

وضعت لين يدها على فمها لتمنع خروج المزيد من الكلمات الجارحة. ورات عينى الفجرى تلمعان سخطاً.

اقترب منها الرجل مهدداً:

- أوضحى سؤالك. أتقصدى أن مستواى الوضىع لا يلىق بمقام

زوار تلك الحداثق؟

حاولت المرأة أن تخرج من المأزق فقالت:

- أسفة، اعتقدت أن...

- أن ماذا؟

مدت لين ذراعىها متوسلة ومحاولة إىقاف غضبه.

- أنا حقاً أسفة. أرجوك أن تتسى الموضوع.

انتظرت لين رداً عنيفاً من زوجها لكنه لم ينبس ببنت شفة. متى ينفجر ويعطى سجىنته نصىبها من العقاب الذى تستحقه على هذه الاهانة؟ لكن كل ما فعله الرجل أنه قذف الكتيب فى الحقيبة وخرج من العربة.

راقت لين مشىته المتوازنة وجسمه الرشىق. لماذا لم تلاحظ فىه هذه الأشياء عندما قابلته المرة الأولى؟ لاشك أن الخطر الذى كان محددقاً بها آنذاك لم يسمح بذلك. فجل ما صبت إىله كان الافلات من قبضته، الأمر الذى تحقق بفضل الفتاة الفجرىة. من هى هذه الفتاة التى أطاعها رادولف فوراً؟ لابد أن لها مكانة كبيرة فى حىاته كى ينفذ



أوامرها وهو الرجل الصلب العنيد لو لم تر المشهد بأم عينها لما صدقت أن رادولف يطبع كالأرنب امرأة فجزرية. ربما كانت الفجرية تعرف سراً لو فضحته لأوقعته في ورطة كبيرة. لكن هذه الفكرة مستبعدة لأنها لو صحت لما تجرأ رادولف على خذل فتاته والزواج من غيرها. أرادت لين أن تعرف حقيقة العلاقة بين زوجها والفجرية. لكنها تخاف من إثارة ذكرى اللقاء الأول كي لا يفضب رادولف وتسبب لنفسها ما لا تحمد عقباه. فلو أن الرجل يرغب في التحدث عن اللقاء لكان فعل ذلك بنفسه. لا بد أنه يتناساه لأنه يخجل فعلاً من فعلته الدنيئة. عاد رادولف حاملاً وعاء كبيراً.

- هل يكفيك هذا؟

- بالطبع ولكن من المستغرب أن تزج نفسك من أجلى.

- قلت لك يا لين أنك لم ترى الجانب الأسوأ مني بعد. وأقول الآن

أنك لم ترى الجانب الحسن كذلك.

أدركت لين أنه يجب عليها اكتشاف حقيقة هذا الرجل والتعرف إلى شخصيته الغامضة أكثر. مع ذلك هزت كتفها لا مبالية لأن رغبتها في الفرار ربما تفوق فضولها في اكتشاف حسنات رادولف.

غسلت شعرها في المطبخ وعندما عادت تخلي رادولف عن قراءة مجلة وقام يتولى مهمة تجفيف شعرها.

شعرت لين ببعض الهدوء لوجودها قرب زوجها الذي رمى المنشفة أخيراً وأخذ وجهها بيديه القويتين محققاً في عينيها الزرقاوين.

ارتعشت شفتاها وكادت أن تبدأ بالبكاء وهي تتذكر زيارتها إلى

الكواشير حيث كانت تضي أوقاتاً فرحة لحظات بعيدة كأنها تنتمي إلى أزمنة غابرة لن ترى لين لها وجهاً بعد اليوم.  
انتشلها صوت رادولف الرقيق من تأملاتها:  
- كم أنت جميلة يا لين.

جذبها إليه برقة وطبع على وجنتها قبلة حانية. لم تقاومه لين لكنها وجدت الدموع تترقرق في عينيها.

- أرجوك! لم أعد أتحمّل أكثر!

- حتى كلامي؟

- كل شيء! ألا تفهم أنني لا يمكن أن أعيش سجيناً طيلة حياتي؟

ابتعدت لين عنه وشعرها ينسدل بفوضى على كتفيها ودموعها ترسم خطوطاً لامعة على وجهها الناعم.

أضافت بتوسل أملة في أن يرق الفجرى لحاها:

- دعني أذهب. لا يمكن أن تحبسني في هذه العربة إلى لأبد. أنت تعلم أن ذلك مستحيل.

أطرق رادولف يفكر فظننت لين أنها نجحت في إثارة مشاعره الانسانية الراقدة في أعماق شخصيته الشريرة. على أي حال هو قال أنها لم تر منه الجانب الأحسن بعد. فربما رأت هذا الجانب الآن.

تهاوت أحلامها عندما هز الرجل رأسه وأكد:

- أنت زوجتي ومكانك معي. نزوجتني بارادتك...

- بارادتي! كيف تستطيع أن تقول ذلك؟



- لماذا لم تبدى أى اعتراض خلال اتمام مراسيم الزواج؟

رمقتها بنظرة مأكرة وأجاب على سؤاله بنفسه:

- لأنك كنت تأملين بالفرار لوجودك خارج العربة، أليس كذلك؟

- بالطبع كنت أمل فى لفرار، وهل تلومنى على ذلك؟

- وهذه الآمال مازالت موجودة على ما أعتقد.

تذكرت الشاب كونييل الذى أحضر لها قلماً. كما تذكرت المال فى حقيبتها وعرفت أن عليها إخفاؤه لئلا يكتشف زوجها خطتها.

- أنا بالفعل أنتظر الفرصة المناسبة للهرب. وأعتقد أن من يزرع فى موقعى يفعل الشيء نفسه.

تهند رادولف طويلاً معترفاً بصحة موقفها. نظرت إليه زوجته بذهول. هناك شيء عجيب فى هذا الرجل وفى هذه لقصة كلها. لربما استطاع كونييل أن يساعدها على حل اللغز المستعصى.

اقترب رادولف منها ووضع يده على كتفها محاولاً نهدئتها.

- أرجوك دعنى ولا تلمسنى...

ضمها إلى صدره بحنان فأخذت ترتعش بقوة حتى تركها أخيراً دون أن تبدر منه أية حركة عنيفة.

- مشطى شعرك قبل أن ينشف.

خبير حتى فى أمور النساء غير العجريات. فهؤلاء لا يشغلهن التجميل فيتركن شعرهن على طبيعته ليزيد فى مظهرهن بدائية ووحشية.

لاشك أن رادولف يعرف أكثر مما يتوجب عليه عجري لا يهتم بما يجرى فى العالم المتحضر. فالفجر عادة يكونون متشوقعين على أنفسهم، مكتفين ذاتياً فى عالمهم الخاص.

قطع صوت رادولف حبل أفكارها:

- بماذا تفكرين؟ أرى على وجهك مشكلة مزعجة.

- تماماً، مشكلة الهرب!

أكد العجري ببرود:

- مشكلة لن تجدى لها حلاً. ولكنى أرى شيئاً آخر فى عينيك فما هو؟

- وهل أنا مضطرة للإجابة؟

- بالطبع وإلا لما وجهت إليك السؤال.

نظرت إليه بتردد وقالت:

- قد لا يكون جوابى صادقاً.

- أنا أعرف بسهولة متى تكذبين على.

ربما كان صحيحاً أن الفجر يملكون حاسة سادسة كما يدعون.

- كنت فى الحقيقة أستعيد ذكرى لقائنا الأول.

وأخيراً تجرأت على ذكر ما يتعلق بالحادثة الأولى. وكما توقعت تجهم وجه زوجها بسبب ذلك.

- من الأفضل أن تسمى اللقاء الأول.

لم تفهم لماذا يعتبر زوجها حادث تعطل السيارة تافهاً ويركز على



الحادث الثاني في الغابة. ولا تفهم كذلك لماذا يفضب لذكر الحادث الأول مع أن لين هي الطرف المهان والمجروح.

- ولماذا أنساه؟

- لأنني أحاول أن أنساه وإذا تحقق ذلك تحققت مصلحتك.

ملأتها كلماته حيرة وذهولاً فقالت:

- لا أعتقد أنني فهمت قصدك.

- لتغير الموضوع يا لين!

من يسمع لهجته الأمرة يظنه سيداً يكلم خادمته مع أن الحقيقة قد تكون العكس. فالفجر هم عادة الخدام وهم الوضاعاء.

لم تأخذ لين بنصيحته وأصررت على اكمال الحديث:

- تريد نسيان الحادثة لأنك تخجل من نفسك!

- أخجل من نفسي؟

رفع حاجبيه تعجباً وأضاف:

- أنت من يجب أن يخجل من نفسه.

- ولكن...

- اخرسى ولا تجادلي!

خرست لين بالفعل واستأنفت تمشيط شعرها دون أن تفهم موقف زوجها. قررت أخيراً صرف النظر عن مناقسة الموضوع لأن ذلك لن يفيداً بشيء.

- أريد أن أجفف شعري.

- ما رأيك بالخروج إلى الشمس؟

- أتمنى ذلك.

نهض من أريكته بكسل وعلى وجهه علامات الضجر.

اتجهت إلى الغابة تراقبها نظرات النساء الفجريات الفضولية، لكن رادولف تفهم الموقف ولم يدع مجالاً لاختلاط زوجته ببقية قومه.

- أشعة الشمس قليلة هنا بسبب تشابك الأغصان. هلا اتجهنا صوب المنطقة المكشوفة للشمس؟

ابتسم رادولف وقال:

- لا يا عزيزتي لن نتجه صوب الطريق.

- أتخشى أن أحاول الفرار؟

- قد تقومين بمحاولة حمقاء.

- أعترف أنك مصيب لأنى لن أكف عن التفكير في الهرب.

- أنت صريحة على الأقل.

- ماذا تعنى بعلى الأقل؟

- أعنى أن غطرسك وغرورك مثلاً يجعلانك تحتقرين الناس...

قاطعت لين:

- لو أنني متغطرسة فماذا تكون أنت؟

أجابها برقة كوالد يؤنب طفله المشاغب:

- أنا أعاملك بالمثل ليس إلا .

مرة جديدة سامحها رادولف على كلامها القاسى فشكرت ربها لأنها تقادت غضبه .

تابعاً سيرهما بصمت تستغل لين فرصة وجودها خارج العربة لتشبع رثيتها هواء نقياً وعينيها خضرة حاملة . كانت من وقت إلى آخر تختلس النظر إلى زوجها فترى التناقض بين ملامحه الراقية وكونه عجرياً . مشيته تجعله يبدو نبيلاً وشعره المشعث المتراخى بفوضى يرده إلى طبيعته العجرية .

اختار رادولف لهذه النزهة وادياً صغيراً تحفه الأشجار لا أمل فيه لزوجته بأن تلتقى أحداً يساعدها على الهرب .

قال رادولف وهو ينظر إلى شعرها :

- عليك أن تفهمي شيئاً يا لين . كونى مطيعة مهذبة معى تصبح حياتك ممتعة .

- أنا لا أتصور أية متعة فى العيش إلى جانبك!

كانت لين تتمنى لو أنه يمل منها سريعاً فيتركها تعود إلى بلادها .

عادا إلى العربة فأمرها رادولف بتحضير الطعام . وقفت لين ترمقه بنظرة تحد وهى تغلى من الغضب لمعاملته إياها كخادمة .

- لا أريد توجيه الأمر إليك مرتين لأنك تعرفين نتيجة ذلك جيداً!

على الرغم من الفيظ الذى غلف نبرته وجدت لين فى كلامه نوعاً من السأم والتعب من هذا الوضع .

لم تحضر لين إلا طبقاً واحداً فسألها زوجها :

- أين طعامك؟

- لست جائعة .

- مع ذلك ستاكلين إكراماً لى . لأنى لا أحب الجلوس بمفردى إلى المائدة .

- من تظن نفسك حتى ترغمنى على الأكل؟ أشعر كأنك سيد مستبد يفعل باتباعه ما يشاء!

تخلت لين عن المجادلة فى النهاية فأحضرت طبقاً وجلست تأكل رغم أنفها .

- أرى أن دروسى فى تعليمك الطاعة بدأت تثمر يا حلوتى!

قالت لين بمرارة :

- السلطة والسيطرة توفران لك الرضى والغرور أليس كذلك؟

- أصبت، إذ أن كل ما يذلک يمتعنى، وأعدك بأن هذا العقاب البطىء لن ينتهى قريباً .

- النهاية؟ تكلمت عن نهاية العذاب!

- بالطبع فأنا لا أنوى أن أطيل العذاب أربعين أو خمسين سنة .

ارتعدت لين للفكرة وتصورت نفسها تمضى حياتها فى هذه العربة .

- أتمنى أن أموت الآن، فهذا أفضل .

زال المرح والعبث من عيني رادولف وقال :

- طفلة رائعة مثلك يجب أن تتمتع بالحياة لا أن تتكلم عن الموت .



تخلت لين عن حذرها وانفجرت غاضبة:

- لا تتكلم كالأبله فأنت تدرك أن حياتي هنا جحيم لا يطاق!

وافق رادولف وقال ملمحا إلى شيء تجهله زوجته:

- حالياً فقط.

- حالياً وأبدأ إذا عشت لك واستمررت في سجنى.

- فلنغير الموضوع يا لين. أخبريني عنك فأنا لا أعلم كم تبلغين من

العمر مثلاً! تصورى أن زوجك لا يعرف عمرك.

- أنا فى الرابعة والعشرين.

- وأنا تخطيت الثلاثين ببضعة شهور. أخبريني المزيد عنك،

أخبريني فأنا أحب سماع صوتك.

- لا أعتقد أنك تحب أى شيء.

- من المؤسف أنك تفسدين حلاوة صوتك أحياناً بتصرفاتك الرعناء.

استرسلت لين فى الحديث واستمتع رادولف بالاطلاع على تفاصيل

حياتها.

- يبدو أن توماس هذا ممل بعض الشيء.

- كيف عرفت ذلك؟

- من خلال حديثك عنه. نحن الفجر أذكيا يا عزيزتى!

- أنا لم أقصد اظهاره مملاً.

- توماس ليس الرجل المناسب لك يا جميلتى.

- أنت مخطىء، فى حكمك على توماس.

- توقعت أن تتكرى ذلك. يا لك من شخصية شفافة يا لين اقراها

بكل سهولة.

صبت المرأة اهتمامها على طبقها لتفادى نظراته الحادة القوية  
فأكمل الفجرى الكلام:

- من المؤسف أن تكونى مصابة بعقدة التفوق حتى لا أقول جنون

العظمة. يجب أن تتعلمى أن جميع الناس سواسية وأن المجتمع الفجرى

ليس فاسداً لأنه يختلف عن مجتمعك. لا يجدر بك احتقار الناس

لمجرد انتمائهم. المجرم وحده هو الذى يستحق الاحتقار والنبذ.

كان صوته مختلفاً هذه المرة حتى أن لين وجدت فيه رنة موسيقية

كاللهجة الايرلندية. برغم أنه يكون أحياناً قاسياً فإن لهجته تختلف عن

لهجة بقية الفجر. لم تفهم لين لماذا أو لم يعد يهمها أن تفهم مادام

هدفها واضحاً: الهرب.

- لم يتهمنى أحد من قبل بهذه العقد التى تتحدث عنها.

- لكنك أظهرت عقديك تجاهى.

تبع ذلك صمت بارد وتشنج الجو بينهما. أحست لين بأن الفجرى

بكاد ينفجر غضباً وبالفعل قال لها بفضاظة:

- إذا أخطأت بعد اليوم سأملأ جسمك بقعاً زرقاء... أفهمت؟!

أشاحت المرأة وجهها لئلا تواجه عينيه القادحتين شراً.

بعد قليل خرج رادولف فعادت لين إلى وحدتها المملة برغم أنها لا

تستسيغ صحبة زوجها، لكن وجوده أفضل من لا شيء.

استغلت فرصة غيابه لتخرج المال من حقيبتها وتخبئه وراء بعض الملعبات في خزانة المطبخ. ثم انصرفت لكتابة رسالة قصيرة إلى الشاب الفجرى كونييل تعده فيها بمكافأة مالية فورية وأخرى ترسلها له بعد فرارها على عنوان يحدده هو. قررت لين أن تمنحه كل ما ادخرته خلال عملها، فهي مستعدة للتضحية بكل شيء لقاء خروجها من هذا النفق المظلم. لن يستطيع كونييل مقاومة اغراء العرض وسيتدبر طريقة لتهربها في أول فرصة تسنح له.

بعد الانتهاء من الكتابة جلست المرأة الشابة على طرف السرير تضي الساعات في التفكير بمصيبتها التي حلت عليها فجأة، وتتخيل نفسها حرة طليقة، إلى أن غلبها النعاس أخيراً وتسلس النوم إلى عينيها.

## ٥ . سجان العواطف

استيقظت لين، والظلام الدامس يلف العرية، على صوت الفجر يغنون ويرقصون حول نار كبيرة أشعلت في وسط المخيم. ولم تستطع إلا أن تستعيد ذكريات حياتها الهادئة في انجلترا ووظيفتها المحترمة في شركة الهندسة الزراعية. ساهم ذلك في زيادة توترها إلى درجة خافت معها أن تفقد صوابها يوماً إذا استمرت على هذا الحال. ماذا سيحدثني رادولف من وجود امرأة مجنونة معه؟ لو يدرك ويعلم أن كليهما بلا شك خاسر لأطلق سراحها فوراً.

فجأة سمعت طرقاً خفيفاً على النافذة فهبت من سريرها وأزاحت الستار بسرعة.

- كونييل!

تكلم الشاب بصوت هامس:

- اخفضي صوتك لئلا نسمعنا أحداً!

لكن الإثارة وفرط التوتر جرادها من كل خوف وحذر.

- لا تقلق. الكل مشغولون عنى الآن.



- هل كتبت الرسالة؟

هرعت لين وأحضرت له الورقة.

- أرجوك انتبه يا كونييل حتى لا يراك أحد.

- على الذهاب الآن. طابت ليلتك.

- شكراً جزيلاً يا كونييل على ما تفعله من أجلى.

قال الشاب قبل أن يختفى فى الظلام:

- لا أعلم ما إذا كنت قادراً على مساعدتك، لكنى سأبذل جهدى.

خافت لين من أن يكون أحدهم قد شاهد كونييل يتحدث إليها  
أجالت نظرها فى الخارج لترى ما إذا كان زوجها يراقب المشهد  
ويستعد للانقضاض من جديد على فريسته الضعيفة. لكن كل شيء  
كان هادئاً ولم يبد وأثر لإنسان حول العربة.

بعد نصف ساعة عاد رادولف إلى «المنزل الزوجى» دون أن تظهر  
على وجهه علامات تفيد أنه اطلع على ما حدث. أضاء المصباح العتيق  
بعد أن رأى أن زوجته غير نائمة.

- لماذا تجلسين فى الظلام؟ أتحيين أن تعذبى نفسك؟

- ولماذا تهتم أنت بعداى؟

- فى الحقيقة أنا لا أحفل بعداىك.

وأضاف بنبرته الخشنة:

- ماذا فعلت فى غيابى؟

- لا شيء!

توجه رادولف نحو المطبخ وسأل زوجته:

- أتريدين بعض الشاى؟

- كلا.

- لا بد أنك شربت فنجاناً إذن؟

- لا.

سمعتة لين يتنهد فى تحسر وهو يعد الشاى وتساءلت لماذا لم  
يطلب منها أن تحضره بنفسها.

عاد بعد قليل يحمل فنجاناً فسألتة بإصرار:

- أين كنت طوال هذا الوقت؟

توقعت لين جواباً قاسياً يشعل مشادة جديدة. لكنها فوجئت به  
يرمقها بنظرة ناعمة مليئة بالحنان. هى قصدت من سؤالها اشعال  
غضبه لتعذبه لكنه خيب أملها بهدوئه الشديد.

جلس يشرب الشاى الساخن ويراقب زوجته بنظرة لا مبالية.

- أريد أن أراك غداً بثياب جديدة.

أفزعت لين دفعة واحدة كل الغضب الذى جمعتة فى وحدتها وقالت:

- سأرتدى ما يحلو لى.

- لا تحاولى أن يراك زوجك بمظهر المرأة الشريرة. سترتدين شيئاً  
مما أحضرت معك لتمضية العطلة الممتعة.

تاقت عينها في حقيبتها المقلتين على بعض من ذكريات، قريبة كالوقت بعيدة كالحلم. كيف تضع ثيابها الأنيقة في خزانة العربة القذرة؟ ليس من المعقول أن تكون هذه العربة ملكاً لرادولف فهو يبدو محبباً للنظافة والترتيب. ثم أنه لا يحتفظ فيها بثيابه. تحفظه حول خصوصياته يحيرها كثيراً ولكنها لا ترغب في الاطلاع على خفايا حياته لأن تفكيرها كله انصب الآن على هدف وحيد: الفرار.

قالت لزوجها بعد تردد:

- لا أرى معنى لارتدائي ثياباً جميلة وبقائى سجيناً هذه الزنزانة!

- لن تبقى هنا لأننا سننتقل غداً بسيارتك إلى مكان آخر.

أحسست لين أن قلبها توقف عن الخفقان لأن الآمال التي علقتها على مساعدة كونييل انهارت بلحظة.

- هل يرحل الجميع لمكان آخر.

- لا. نحن فقط.

كادت لين بعفويتها تفضح كل شيء.

- لا أريد أن أغادر المخيم.

صعق رادولف لملاحظتها وأخذ ينظر إليها دون أن يفهم.

- وهل تستسيغين البقاء هنا إلى هذا الحد؟ مع إنك لم تكفى عن التذمر من الضجر لوجودك هنا.

عضت لين على شفتها تحاول إيجاد جواب لا يفضحها. واستطاعت بعد جهد أن تقول:

- المكان الذي سنذهب إليه لن يكون أحسن من هنا. وأنا لا أنوي تمضية وقتي بالتنقل الدائم كالفجر المتشردين.

لن تأبه المرأة لغضب زوجها من كلامها لأن عقلها كان مشغولاً بفرصة الهرب الضائعة. ظنت أن الفرغ سبأيتها أخيراً على يد كونييل لكنها وجدت نفسها تفقد الأمل وتعود إلى نقطة الصفر.

برغم كل شيء حافظ الفجرى على هدوئه ولم يظهر انفعاله لنتت زوجته قومه بالمتشردين.

- لا تحاولي الاعتراض لأنى مضطر لمغادرة المخيم.

- ولماذا تكون مضطراً للرحيل؟

- لا ضرورة لأن تعرفى.

- وهل سنجد عربة خالية لإقامتنا في المخيم الذي سنقصده؟

- بالطبع. ألسنت ملك الفجر كما قلت يا عزيزتى؟ والرعية لن تدخر جهداً لتوفر مكان إقامة مريحاً للمكها.

أخذت لين تجوب العربة وهي تفكر بالمخيم الجديد والعربة الجديدة القذرة، وبمزيد من هؤلاء الناس السمر الفضوليين. سجن جديد وحراس جدد يرصدون تحركاتها عندما يكون زوجها غائباً.

وفجأة انهارت أعصابها وصرخت:

- لا أستطيع تحمل المزيد! لا أستطيع البقاء سجيناً. سيقتلنى هذا الوضع الرديء!

وأضافت وهي تحديق في رادولف:



- كيف تمضون أيامكم بهذا الكسل دون عمل؟ ألا تملون؟

وضع الفجرى فتجانه على الطاولة ونهض من كرسيه دون أن يظهر عليه أى انفعال مما زاد من حيرة لين التي قالت:

- هناك لغز فى حياتك! هناك سر ما إلى أين تذهب كل يوم فأنت ولاشك لا تبقى فى المخيم؟

أزاح الفجرى وجهه وكأن ملاحظاتها أخرجته فاستغلت لين الفرصة وتابعت بالحاح شديد:

- أريد أن أعرف كل شيء! أنت تردد باستمرار أنى زوجتك فى هذه الحال يحق لى أن أعرف أين وكيف يمضى زوجى أوقاته؟

- أنت لا تعتبرى نفسك زوجتى حتى لأن. فعندما تعتبرين أننا متساويان ستعرفين كل شيء. لكن ما دمت تعتقدين أنك متفوقة على لأنى فجزى فلن أطلعك على الحقيقة.

كل شيء فى هذا الرجل يزيد من اللغز غموضاً: جسمه الرشيق، مشيته المتعالية، كبرياؤه وسطوته، ثقته المفرطة بنفسه، ومرة جديدة قالت لين فى نفسها: لو لم أكن أعلم أنه فجزى لما صدقت أبداً أنه كذلك. عندها فكرت بأولاف وبحديثه عن وضع رادولف الخاص، فتلك الكلمة انطبعت فى مخيلة لين وجعلتها تظن أن زوجها هو ملك الفجر. هو ليس بالطبع ملك الفجر لكنه يتميز عنهم بشيء ما...

لما نظر إليها رأت فى عينيه مرارة كبيرة كأنه يطلب منها أن تتفهمه وتساعدته على تخطى مشكلة تورق حياته.

- إلى أين سنذهب؟ أعنى أين يقع المخيم الذى تحدثت عنه؟

- فى مكان بعيد جداً.

- ولكن، ماذا سنعمل بالحصان؟ لا يمكنك أخذه إذن، إذا كنا سنستعمل السيارة.

كان رد رادولف هادئاً وعادياً جداً:

- بما أنى سرقته سأعمل على رده إلى أصحابه.

- لا ضرورة لأن تستغل كل فرصة تسنح لك لتسخر منى.

- ولكنك افترضت أنى سرقته، أليس كذلك؟

- ولماذا لا تقول لى من أين حصلت عليه؟ فأنت توافق معى على

أنك لست قادراً مادياً على امتلاك مثل هذا الحصان الماهر.

كل كلمة، كل حركة، كل دقيقة تمر كانت تزيد من غموض اللغز وصعوبته بالنسبة إلى المرأة. ما السبيل إلى اكتشاف الحقيقة وإزاحة الستار عن الجوانب الخفية فى حياة الفجرى؟ قد يكون الوقت كفيلاً بذلك... وقد لا يكون.

- لم أفهم تماماً معنى كلامك.

- بصراحة، أعنى أن مظهرك لا يقنع أبداً بأن هذا الحصان الأصيل ملك لك.

كانت الإهانة الجديدة أقوى من أن يتحملها الرجل. فعندما تكلم بدا فاقداً تماماً سيطرته على أعصابه، يعميه الحقد.

- لا بد أن يقودك لسانك يوماً إلى مهالك لا نجاة منها.

اعتذرت لين على الفور، وحاولت تغيير وجهة الحديث.



- أسفة لأنى أسأت التعبير. ألن تخبرنى من أين حصلت على الحصان؟ أنه حصان أصيل أن لم أكن مخطئة.

- من أين لك هذه المعلومات عن الجياد؟

- كنت أمارس الفروسية لبضع سنوات خلت.

وبدلاً من يجيب على تساؤلها حمل رادولف فنجانة إلى المطبخ ولما عاد قال بحسم:

- حان وقت النوم لأننا سننهض باكراً فى الغد.

تعمد رادولف البحث فى حقيبة زوجته حتى وجد فستاناً قطنياً أزرق موشى بالرسوم.

- سترتدين هذا الفستان غداً لأنه يبرز جمالك وأنوثتك.

خطفت الفستان من يد زوجها ورمت به على الأرض رافضة فكرة فرضه ارتداء الملابس عليها. ولكن رادولف لم يتسامح هذه المرة. بل أمسك بشعرها ووضفها على وجهها بعنف حتى كاد يرميها أرضاً. ووقفت المرأة أمامه ترتعش فهى لم تتعرض فى حياتها للضرب أبداً.

- التقطى الثوب!

أطاعت أمره ودفنت وجهها فى الثوب ثم صرخت بصوت مخنوق:

- لن أستطيع الاستمرار طويلاً! لن أستطيع الصمود... سأنتحر!

فوجئ الرجل لهذا التهديد ووقف يحرق فى زوجته لحظات طويلة قبل أن يضمها بحنان إلى صدره ويقول بكل ما لديه من رقة:

- لماذا تغضبيننى يا عزيزتى وترغميننى على استعمال العنف؟

أضاف وهو يتحسس بيده القوية وجنتيها اللاهبتين:

- لو كنت تتصرفين بهدوء...

توقف محاولاً تهدئة جسمها المنتفض ألماً وحرزناً ثم تابع:

- على المرء أن يكون حذراً عند ما يتعامل مع عجىرى.

بصعوبة، رفعت عينيها الرطبيتين إلى وجه زوجها وتمتمت:

- أنت مختلف... يا ليتك تظل حنوناً كما كنت الآن...

أمر لا يصدق! كيف تسر لين لوجودها فى أحضان هذا الرجل الذى لا تكف ثانيه عن التفكير فى كيفية الافلات من يده؟ لماذا لم تنفر هذه المرة من لمسائه؟

أضافت والكلمات تسبقها:

- لماذا أنت مختلف؟

بدا على رادولف كأنه يقبل بهذه الحقيقة ولكنه لا يقوى على أن يصرح بالسبب لأن هناك أمراً خطيراً يمنعه من ذلك، لربما كان أمراً يتعلق بالماضى الذى يمتد تأثيره على المستقبل.

- لا أستطيع يا عزيزتى أن أشرح لك الحقيقة...

ابتعد عنها وزاد:

- هيا إلى النوم يا حلوتى.

وقفت لين مشدوهة وهى تشاهد زوجها يتوجه إلى المطبخ ليحضر بعض الماء. واستغربت التبدل العميق الذى أحدثه تهديدها بالانتحار



في هذا الفجرى الغريب. لم تعد تأبه بالألم الذى سببه لها بل انحصرتفكيرها في التوصل إلى أعماق ومغاور نفسه وكشف حقيقته.

عندما عاد رادولف إلى الغرفة أخذ يحدق فيها ويتأمل جمالها الصارخ، ولاحظت الزوجة الحائرة العروق في عنقه تنبض بعصبية.

وعندما انتقلت عينا الفجرى إلى وجهها حيث مازالت آثار الصفعات واضحة، ظهر عليه الأسف والندم الشديدان على استعماله العنف. تماماً كما ندمت لين على استعمالها الطريقة نفسها في الغابة. اقترب منها وأخذ رأسها بكلتا يديه محاولاً الاعتذار، غقت لين بين ذراعيه ورأسها غارق في صدره وتحس بقلبها خالياً من الحقد والمرارة. الشيء الوحيد الذى تدركه في هذه اللحظة هو الارتياح لأن كل شيء بسلام أو بشبه سلام... وذلك بفضل تفهم رادولف لوضعها ولاكتفائه بطبع قبيلة خاطفة على جبينها.

أمضى الزوجان الشابان معظم النهار في السيارة يتجهان إلى حيث تجهل لين. تمتعاً بالطقس الجميل وساهمت الشمس الدافئة بإزالة حاجز العدا بينهما، لقد فرحت لين لوجودها بعيداً عن أى من مظاهر الحياة الفجرية التى كرهتها والتى أسقط واقعها المر أحلاماً شاعرية، بنتها لها قصص الأدباء وعمرتها أخيلة الشعراء.

لا تستطيع المرأة الانجليزية التى تعودت على صخب الحياة أن تحيا هكذا وبدون هدف كنيثة طفيلية تعيش على جهد غيرها. لابد لها من هدف واضح فى حياتها تصبو إليه وتعمل على تحقيقه. فالطريق أن لم يفض إلى مكان ليس طريقاً. وقطار الحياة أن لم يقصد محطة ما يصير كابوساً.

كم كان كونيل مهماً بالنسبة إليها وكم أحست بالحسرة لأنها ابتعدت عنه! كان حتماً خرج من العدم ليخصب أرضاً جديداً. فإذا بيد رادولف تمتد لتخفق الحلم وهو فى المهد، ولترمى بلين فى مكان جديد لاتعلم ماذا ينتظرها فيه سوى مزيد من الوحدة والملل. لكن ما أبقي فى نفسها بصيصاً من أمل هو تلميح رادولف إلى إمكانية العودة إلى المخيم نفسه فى يوم آخر قريب.

لاحظت لين، الغارقة فى المقعد الوثير، أن رادولف لا يلقى أية صعوبة فى القيادة مع أن الفجر لا يحسنون عادة قيادة السيارات مفضلين وسيلتهم القديمة للتنقل: الحصان.

لاحظ رادولف أن لين لم تكف عن مراقبته طوال الطريق فسألها:

- لماذا تفكرين؟ أراك تفكرين فى أمر مهم.

- أراقب طريقة قيادتك فأنت سائق ماهر على ما أرى.

- العادة كفيلة بتعليم المرء كل شيء.

- صحيح، لكنى أعرف أنك متعود على ركوب الخيل خصوصاً وإنك

قلت مرة إنك تستعمل الجياد لا السيارات.

كانت لين تشير بكلامها إلى جملة قالها رادولف عندما التقيا للمرة

الأولى قرب سيارتها المعطلة. حاول الفجرى أن يتذكر ذلك ثم هز رأسه ناهياً.

- لابد أنك واهمة فأنا لم أقل شيئاً من هذا القبيل.

- أنسيت ما قلته فى لقائنا الأول؟



- نحن لم نتبادل كلاماً يذكر في لقائنا الأول. يبدو أن خيالك واسع يا عزيزتي!

أنبأها حدسها أن رادولف يتحدث عن اللقاء الثاني عندما اختطفها على أثر ضربة السوط. أثار حنقها عدم اكتراثه الدائم بالحادثة الأولى وتركيزه على الثانية، وكأن لين ارتكبت يوماً جريمة لا تتغفر محت آثار فعلته البشعة.

بعد أحداث اليوم السابق تحول رادولف بسرعة من رجل شرس وحشى الطباع، إلى إنسان هادئ وديع لا تثور أعصابه بسهولة أهو مصاب بانفصام في شخصيته يتصارع فيها الخير والشر بعنف بشكل يجعله متلوثاً من ساعة إلى أخرى؟ أيجادل الجانب الخير الانتصار على الجانب الشرير والافلات من برائن الفرائز البدائية؟ أن هذا الصراع ينعكس على لين بشكل دراماتيكي يجعلها رهينة مزاج زوجها المتقلب... ما حدث البارحة يعزز اعتقاد لين. فرادولف هدأ بعد أن انفجر بشدة وطمغى عليه جانبه الإنساني بعد أن بدا نادماً على ضربه لها. حاول التكفير عن ذنبه بملاطفتها وتطبيب خاطرهما، وعندما أفاق في الصباح نظف الفستان الذي رمته على الأرض، ثم أحضره لها وألبسها إياه بكل رقة ونعومة.

مراع خضراء على امتداد النظر رافقتها في تجوالهما. «تحرسها» هضاب واسعة مغطاة بأشجار خضراء عالية تهمس في أذن السماء الصافية أشعاراً وأحاناً. أوقف رادولف السيارة في مكان أخضر فسبح في منطقة تدعى كيلارنى. وسار العروسان إلى بقعة منعزلة فيها بحيرة جميلة تقع على سفح جبل عال.

كادت الدهشة تعقد لسان لين فأخذت تتأمل هذه الجنة الرائعة تعرف من جمالها وبراعتها فيفيض البهاء في نفسها عذوبة وصفاء.

- ما أجمل هذا المكان! كيف تعرفت إليه؟

- أنا أعرف أيرلندا كلها.

شع في عيني المرأة الشابة بريق وارتسمت على شفثتها ابتسامة هائلة وأحست بنفسها تسبح في بحر عات من الأحلام. شعرت بالدفء فيغمرها عندما طوقها رادولف بذراعيه... ليته يتكلم معها بوضوح لتعرف المزيد عنه وترتاح...

- تعالى، علينا ألا نضيع المزيد من الوقت!

نظرت إليه بحيرة وقالت:

- قل على الأقل إلى أين نتجه؟

- ستعرفين عندما نصل.

- لن أعرف شيئاً فأنا أشعر بالضياح.

ضحك رادولف وقال:

- نحن في كيلارنى وهذا الجبل يدعى الجبل القرمزى.

- لم يفدنى شرحك كثيراً.

- أيهمك إلى هذا الحد الاطلاع على كل التفاصيل؟

- في الحقيقة، لا.

عاد رادولف بسرعة إلى السيارة وجلب سلة مليئة بالطعام. وأبلغ



زوجته كالعادة أنه سرق السلة ومحتوياتها لكن المرأة لم تقتنع بكلامه.

- أنت لم تسرق شيئاً!

- أتحاولين تبرئة نفسك من وجودك مع زوج لص لا يعرف إلا

السرقه وسيلة لكسب الرزق؟

أصاب رادولف بسؤاله لأن لين كانت تكره فكرة كونه لصاً. أرادته رجلاً شريفاً يحصل على لقمة عيشه بعمله وكده... ولكن لماذا تجد نفسها مهمته بسلوكه؟ ما الفارق في أن يكون رادولف لصاً أو رجلاً شريفاً مادامت ستهرب منه يوماً لتستعيد حررتها الغالية؟

## ٦. معاناة غجری

أخذت لين تتساءل عما إذا كان رادولف قد سرق كل هذه الأغراض، فمن أين إذن أتى بالأطباق والسكاكين والملاعق خاصة وأنها من الصنف الغالي؟ لا بد أنه يسرق مثل هذه الأشياء لإعادة بيعها إلى تاجر شريك بأسعار زهيدة.

سألته فيما هو مشغول بتحضير الموقد:

- بماذا يمكنني مساعدتك؟

- هلا أحضرت الأطباق ووضعتها على المفرش؟

- حسناً.

تابعت لين وهي ترى الأطعمة المختلفة في السلة:

- من أين جئت بكل هذا؟

جاء جوابه ساخراً كما توقعت:

- السرقة وسيلتي المفضلة، لا بل الوحيدة!

تنهدت المرأة وأقرت بأن استمرارها في طرح هذه الأسئلة يعني

استمرار تلقيها مثل هذه الأجوبة الساخرة. لكنها لم تترك كلماته تمر دون تعليق فقالت:

- توقعت أن تكون فعلت ذلك ولكن من أين سرقت هذه الأغراض؟

عندما ضحك الغجرى وبانت أسنانه الناصعة، شعرت لين بقلبيها يخفق بقوة. وحاولت أن تكتم شعورها المتزايد بزوجها الوسيم.

- أغرت في الليل على مطعم قريب من المخيم، لقد كانت مهمة غاية في سهولة!

- لا تختلق الأكاذيب. لا يوجد أي مطعم بالقرب من المخيم!

- أنت مخطئة يا عزيزتي لأنك لا تعرفين المنطقة كما أعرفها. برغم دقة الموضوع ساد الحوار جو لطيف. وحرصت لين جاهدة على عدم إثارة رادولف لئلا يعود إلى مزاجه الشرس.

- أمازلت مصممة على الفرار؟

أجابت المرأة بكل عزم:

- بالطبع، وماذا تتوقع مني غير ذلك؟

أشاح رادولف بوجهه كى لا تظهر انفعالاته وصرح بصوت مرتجف بعض الشيء:

- برغم البداية السيئة يمكننا أن نعيش معاً حياة رائعة.

توقف ليستجمع أفكاره ثم أضاف:

- اليوم مثلاً سار كل شيء على ما يرام.

- لا أعتقد أن يوماً واحداً من التفاهم يبني حياة مشتركة.

- كل طريق يبدأ بخطوة. فلنعتبر اليوم خطوة أولى ومثالاً نحتديه في تصرفاتنا.

لم تصدق لين أن هذا الرجل الذى يتكلم أمامها هو رادولف. أين التعالي والغطرسة في صوته؟ أين نظراته الساخرة ونبرته المهكمة؟

من عادة رادولف إعطاء الأوامر والتلذذ بتفويضها، لكنه الآن يطلب من زوجته العيش معه لا بل هو يتوسل إليها!

- اسمع يا رادولف، أنا لا أنوى أن أمضى حياتي متنقلة من مكان إلى آخر لأنى أحب الاستقرار. أضف إلى ذلك أننى لا أحبك ولن يحدث. وتبعاً لذلك يفدو طلبك غير قابل للاستجابة.

التفت رادولف إليها فوجدت صعوبة في إزاحة نظراتها المتأثرة ببريق عينيه السوداوين.

- متى سنصل مقصدنا؟

- لازالت أمامنا الكثير من الأميال لم نقطعها بعد.

لم تقنع لين بهذا الكلام فقالت:

- هذا ليس بجواب، ألا تستطيع أن تكون أكثر وضوحاً؟

- أعتقد أنه علينا اجتيازحوالى الخمسين ميلاً.

تهددت المرأة وتمتمت شاكية:

- أود لو أعرف سبب رحلتنا هذه.

- كونى على ثقة بأن السبب وجيه جداً.

في السيارة شاركها رادولف تساؤلها عندما قال:



- أرى أنك لم تحاولي الهرب اليوم!

- لم أجد فائدة في ذلك لأنك بدون شك أسرع مني في العدو، فلو حاولت ذلك لأمسكتي بسهولة.

- هذا صحيح ولكن مع ذلك أتيت لك عدة فرص للإفلات، خصوصاً عندما كنت أحضر الطعام من السيارة.

- لقد فكرت في جميع هذه الفرص ووجدتها خاسرة لأنني كنت سألقى عقاباً شديداً على فعلتي!

لاحظت لين انفعاله وإن لم يعلق على الكلام بشيء، ظل صامتاً حتى وصلا أخيراً إلى طريق ضيق يقع في نهايته مخيم للفجر.

- سنتوقف هنا يا حلوتي.

- أهذا هو المكان الذي نقصد؟

- كلا، هذه مجرد محطة قصيرة في رحلتنا.

أوقف السيارة قرب إحدى العربات وأضاف:

- ابقى هنا فلن أغيب أكثر من بضع دقائق.

وأخيراً وجدت لين فرصة ذهبية لتفلس من قبضة خاطفها فهزت برأسها موافقة وغرقت في مقعدها تنتظر ابتعاد زوجها عن السيارة.

تقدم منه بعض الرجال السمر وغرق الجميع في أحاديث هامة لم تسمع لين منها شيئاً، ثم تحسست مقبض باب السيارة وإدارته على مهل، ونظرت إلى زوجها الذي أدار نظره لها. بعد ذلك لمحت الرجال يرمونها، بين لحظة وأخرى، بنظرات فضولية فتوترت أعصابها وصارت خائفة من الاقدام على خطوة الفرار، شيئاً فشيئاً فترت همتها

ورأت أن لا فائدة من المحاولة لأن الجميع في المخيم سيكونون في أعقابها ويعيدونها سجينة. لذلك أعادت إغلاق الباب كما فتحت بهدوء وفتحت زجاج النافذة لتسترق السمع. فأصيبت بالخيبة لأن الحديث كان باللغة العجرية. لا بد أن لما يدور بين هؤلاء الرجال أهمية قصوى بالنسبة لزوجها وبالنسبة لها. عندها أطل رجل عجوز انضم إلى الرجال وتحدث بالانجليزية فتمكنت من سماع ما قال:

- إنه لم يأت يا رادولف، اهدأ ودعه وشأنه لأنك تعذب نفسك بدون جدوى، لقد نصحتك مرات عديدة...

قاطعه رادولف فنظر العجوز إلى السيارة وأكمل كلامه بلغة أهل قومه حتى لا تفهم لين شيئاً.

بعد قليل عاد رادولف إلى السيارة غاضباً لفشله في الوصول إلى هدفه السري.

انطلق بالسيارة دون أن يكلف نفسه مشقة الالتفات إلى زوجته ولم يحرك ساكناً إلا عندما انتبه إلى أن السيارة تحتاج إلى الوقود. فقد استنفذت الرحلة محتويات الخزان الذي ملأه رادولف في الليلة الماضية، عاد العجزي أدراجه إلى المخيم وأشار إلى أحد الرجال كي يأخذ السيارة ويملاً خزانها بالوقود.

ترجلت لين وهي تتحسر على فرصة أخرى ضائعة للإفلات، إذ أنها خططت للانطلاق بالسيارة فيما رادولف منشغل في المحطة بتعبئة الوقود ودفع المال. أما الآن فما هي معه في المخيم ويدها حبيسة يده على سبيل الاحتراز ومنعاً لأية محاولة فاشلة تبدر منها.

عندما أخرج رادولف المحفظة من جيبه ليعطي المال للعجزي



لاحظت لين أن فيها مبلغاً كبيراً، فقالت:

- يبدو أن لديك الكثير من المال...

غابت رنة الملاح من صوت رادولف هذه المرة عندما أكمل:

- ... المسروق.

كان بلاشك منشغل الفكر بما أخبره هؤلاء الرجال فلم ينصرف إلى المزاح والمرح كعادته. من الواضح أنه ينتقل من مكان إلى آخر بحثاً عن شخص ما فهذا ما استنتجته لين بسهولة من كلام أولاف وكلام الرجل العجوز. ولكن هذا لا يفسر اللغز كاملاً بل يطرح سؤالاً جديداً: من هو الشخص الذي يبحث رادولف عنه؟ وهذا السؤال يستتبع أسئلة كثيرة منها: لماذا يبحث زوجها عنه وماذا سيفعل عندما يجده... ومن الواضح أيضاً أنه ليس من السهل العثور على هذا الشخص كما أنه ليس من السهل أن يهدأ رادولف ويكف عن البحث عنه. فهو مستعد لأن يجوب أيرلندا عرضاً وطولاً ليصل إلى ضالته المنشودة. وما زاد الأمر غرابة كون رادولف يملك المال الكافي ليغطي نفقات رحلاته المكلفة... ولكن ما يبعث الأمل في نفس لين هو أن الفرصة المؤاتية للفرار لا بد آتية في إحدى هذه الرحلات. لأن حرص زوجها مهما كان دقيقاً لن يثبثها من الهرب.

كانت الشمس قد بدأت بالأفول عندما وصل الزوجان إلى المخيم المقصود، وبريق النجوم بدأ ينفذ من بين أغصان الأشجار الكثيفة. أقيم المخيم في إطار طبيعي خلاب في حوض سهل فسيح محاط بجبال عالية ومروى ببحيرات متناثرة هنا وهناك تتجمع فيها مياه الشتاء المتدحرجة من القمم الشاهقة.

كالعادة، هجم الرجال والنسوة والأطفال لملاقة رادولف مرحبين به بلغتهم الفجرية. تكلم رادولف فنظر الجميع بأعجاب إلى لين وهم يطلقون عبارات الدهشة والفرح. ففهمت المرأة أنه شرح لهم أنها زوجته. بعد ذلك توجه وإياها إلى إحدى العريات الخالية وكانهم كانوا ينتظرون رادولف وأعدت العدة لاستقباله.

بعد أن أصبحت في الداخل طرحت لين السؤال الذي يقلقها:

- إلى متى سنبقى هنا؟ أحسن وكأني سلعة يتفرج عليها الجميع في معرض!

- سيعتادون عليك ويعتبرون وجودك طبيعياً مع الوقت.

- ألم يفاجئهم أمر زواجك؟

- ابتسم رادولف مجيباً:

- لم يفاجئهم بل أدهشهم.

- أيددهشهم ذلك لأنك كنت معروفاً باصرارك على عدم لزواج؟

- تماماً.

- من المؤسف أنك رجعت عن مبادئك وتخليت عن اصرارك!

امتلات نفس لين بالحزن والخيبة من جديد. فالיום الممتع الوحيد الذي مر أصبح جزءاً من الماضي والذكريات، وما هي الآن تعود إلى أحاسيس الوحدة والضجر من جديد. أعادت إليها العربة الجديدة دور السجينة مرة أخرى عندما اختطفها رادولف وأجبرها على أن تصبح زوجته. لكن ما يخفف من وطأة المرارة هو كون العربة الجديدة في حالة أفضل بكثير من العربة السابقة. فالجديدة أحدث وأنظف.

لاحظ رادولف حزنها فسألها:



- ما بك الآن؟ أنا لم أر في حياتي إنساناً متقلب المزاج مثلك!

- وماذا عن مزاجك؟ ليس حاداً وقاسياً كمزاج وحش مفترس؟

- لم أقل أن طباعك حادة بل متقلبة فحسب، أحياناً أراك فرحة وأحياناً أخرى حزينة!

أجال طرفه في العربة وأضاف:

- أنظري حولك، ألا تجدين أن العربة نظيفة ومريحة؟ سأجلب حقيبتك من السيارة لتضعي ثيابك في الدولاب.

أحضر رادولف حقيبتى زوجته وحقيبة ثالثة وضع فيها ثيابه. جلست لين تراقبه بدهشة يخرج ثياباً أنيقة من حقيبته لا يملكها إلا الأثرياء وأصحاب الذوق الرفيع.

أدرك الفجرى أن زوجته فوجئت بما يملك فقال:

- تركتك نائمة البارحة وسرقت كل هذه...

قاطعته لين بحدة غير أبهة بالنتائج:

- لا تحاول تفسير أى شيء، فأنا لست مهتمة أبداً بمصدر هذه الملابس!

ابتعدت عنه ووقفت تحديق في قمم الجبال المختبئة وراء حمرة الشفق. تمنيت لو تكون هذه اللحظة جالسة هناك حيث الهدوء والبعد عن الضجيج وكذب حضارة العالم. تجمعت دموع الغضب في عينيها، غضب آثاره فشلها وخيبتها المرة.

- أنصحك يا لين بالأ تثيرى أعصابى، فانت تعرفين النتائج.

استدارت المرأة حانقة ويدها على خصرها قائلة:

- أتهددنى كل لحظة بالضرب؟ هيا افعل ما فعلته بالأمس! فهذا أفضل ما يتوقع من... من متشرد حقير!

توقف رادولف عن توضيب ثيابه ونظر اليها والشرر يتطاير من عينيه.

- ألن تكفى عن التحقير بى؟ أتحاولين ارغامى على استعمال العنف معك؟

تقدم منها وأمسك بكتفيها وقال:

- سأقطع لسانك الطويل فأنا لست مستعداً لتحمل الاهانة تلو الاهانة!

هزها بعنف ولكنه لم يتماد كما فعل فى الليلة الماضية بل ضبط أعصابه وسرعان ما تركها. تحسست لين آثار يديه القويتين على كتفيها وتساءلت كم من الآلام ستتحمل قبل أن تفلت من قبضته.

- من الافضل ان تضعى ملابسك فى الدولاب لأننا قد نبقى هنا بضعة أيام.

- والى ايننذهب بعد ذلك؟

تنهد رادولف وأجاب:

- لا أعلم.

يا له من تغير كبير من فجرى عنيف الى رجل يائس ومثبط العزيمة. انتقت لين كلماتها بدقة عندما تكلمت:

- أتبحث عن شخص معين؟

لم يكن رادولف على علم أنها سمعت كلام العجوز وسمعت قبل ذلك كلام أولاف. فرمقها بنظرة متسائلة:

- ما الذى يجعلك تظنين ذلك؟



- انه التفسير الوحيد الذى يفسر سبب هذا التجوال المستمر.

- فهمت.. سأخرج بعد حوالى الساعة وأطمئنك بأن العربية محروسة جيداً فلا تحاولى الهرب.

قال رادولف ذلك بلهجة عادية كأن الموضوع ليس ذا أهمية مما أثار لين فصرخت:

- وكم ستغيب؟ لا أستطيع تحمل الوحدة! سأفتح النافذة وأملأ الدنيا صراخاً! لا لن أستطيع الصمود..

- لا تكونى عصبية بهذا الشكل المسرحى فلن أغيب عنك طويلاً.  
زادت ثورة المرأة وهددت:

- سأحطم النوافذ، سأحطم كل شيء!

أطلق العجى زهرة عميقة فأدركت لين أن عنده مايشغله كفاية ويجعله يغنى عن مشكلة جديدة تسببها له امرأة، فاستنتجت أنها اذا زادت الامر صعوبة وتعقيداً تخلى عنها وأطلق سراحها لينصرف الى حل مشكلته الاساسية.

- لقد قلت لك إننى لن أتأخر.

وجد رادولف صعوبة فى الكلام بسبب الارهاق الشديد، الذى لم تسببه ساعات القيادة الطويلة لأن بنيانه القوى يجعله بمأمن من الارهاق الجسمى، بل مشكلته المستعصية التى تشغل روحه وعقله.

وجهت لين اليه سؤالاً ليس فى محله بل يهدف الى تأخير خروجه فقط:

- ان تتناول طعاماً على الاقل؟

- ليس قبل أن أعود.

لم تكن المرأة جائعة بل حاولت بسؤالها أن تعيق ذهابه، لكنها أذعنت للأمر وجلست على كنبه تنتظر خروجه.

بدا رادولف متردداً فى الذهاب. هل هو قلق عليها؟ فشعوره بالقلق واضح على وجهه. عندما فتح الباب ليخرج ألقى عليها نصيحة أخيرة:

- لا تحاولى التصرف بسخافة يا لين لأنك لن تنجى فى الفرار.

- سأنجح يوماً.

لما نظر اليها بعينيه الماكرتين علمت لين أنه يخطط لما سيفعله بها عند عودته وتأكدت من نيته عندما سألها بخبث:

- أواثقة أنت من النجاح؟ سأريك مدى تحملك عندما أعود!

- نعم. سأخرج من سجنك وسأحمل معى أبشع الذكريات!

أدركت لين أن لعبتها ناجحة عندما رأت زوجها يعض على شفته السفلى ويده تشدّ على مقبض الباب. ستواصل حملتها على أعاصبه فى الغد لتصل الى غايتها.

عاد رادولف الى العربية فى العاشرة فوجد لين نائمة على كنبه عريضة. استسلمت المرأة بسرعة الى النوم بعد أن وزعت ملابسها فى الخزانة وألقت نظرة فاحصة على العربية الواسعة والمرتبّة. دخلت الى المطبخ المرتب وحضرت بعض الشاي ثم جلست تحتسى فتجاناً فى غرفة الجلوس قبل أن تدخل الى غرفة النوم بعد ان تأكدت من وجود الحراس اليقظين فى الخارج يرصدون تحركاتها. لا بد أنهم يتلقون المال من زوجها مقابل خدماتهم، مال وفير لا تعرف مصدره...



وقف رادولف يتأمل شعرها المتدلى كوشاح حريري على الكتف  
الفض وأحس بالألم يعصر قلبه، ثم تمتم في نفسه:

- غجرى متشرد، حثالة المجتمع...

توجه الرجل الى المرأة ينظر الى بشرته الداكنة وشعره الأسود  
القائم الأشعث كنسيمات الجبال الصباحية. استدار لما سمع زوجته  
تتحرك في كنبتها وتفتح عينيها لتشاهده أمامها.

عرف من اغلاقها عينيها ومن الدموع المنحسبة وراء الجفنين أنها  
شاهدت الرجل المتوحش، البدائى.

- عدت أخيراً.

أقترب الغجرى منها وسألها بلهجة هادئة:

- أتفضلين وجودى على البقاء وحيدة؟

كذبت لين كي تجرحه امعاناً فى ممارسة لعبة حرق الاعصاب.

- بالطبع لا! وجود شخص غير مرغوب فيه لا يشتهييه أحداً

أمسك بيدها وأجبرها على الوقوف ثم ضغط عليها بقوة.

- أنت تفقدينى أعصابى!

قاومته لين بعنف وهى ماتزال شبه نائمة، وفجأة تراجعت عندما  
لامست يدها الجرح فى خده.

- أتخافين من جرح بسيط كهذا؟

تناول يدها ومررها على جرحه وأضاف:

- ستالين قريبا من الدواء نفسه لأنى احب معاملة الناس بالمثل.

أستمر لين فى توتير أعصابه؟ لا، لن يجدى ذلك نفعا معه. عليها  
الرضوخ لارادته والاذعان لاوامره لتخفف من وطأة نار هذا الجحيم.

عندما رفع رأسها الى عينيها رأت من جديد الحنان يملأ نظراته،  
رأت رادولف الخير يطغى على رادولف الخير ويتغلب عليه مؤقتاً فى  
الصراع الشرس الدائر فى نفسه. وأحست أنه من واجبها مساعدة  
هذا الرجل كي يصل الى الأمان وتستقر شخصيته، ولكن ما السبيل  
إلى مساعدته؟ لربما كان تجاوبها معه كفيلا بحل المشكلة وجعله يشعر  
بأنه موضع اهتمام.

وأخيراً جاءت اللحظة الحاسمة فقد جذبها رادولف اليه بقسوة  
أتقدم على خطوة التقارب أم تحجم عنها؟

غلبها الاستسلام قبلما تبتعد عن زوجها الذى لم يرض بالهزيمة.  
وجعلها تسدد الفاتورة بطريقة فظة.

بعد أن انقشعت غيوم المهانة والذل تمتمت لين:

- أكرهك وسأجعلك تدفع ثمن كل شىء غالياً فى يوم من الايام.

لم تؤثر كلماتها فى رادولف بشىء لأنها كانت موجهة الى الجانب  
السىء الذى تحدث عنه.



## ٧ - بيت على الشاطئ

دام تنقل رادولف ولين من مخيم الى آخر مدة اسبوعين جابا  
خلالهما أنحاء واسعة من ايرلندا. قطعاً الجبال والسهول، والبحيرات  
والانهار، والوديان والمراعى.. ولم يكن هاجس الفرار ماثلاً في  
ذهنها لاعتبرت لين نفسها سعيدة الى درجة لا توصف.

لم يقترب رادولف منها منذ أن صفعها المرة الاخيرة، حتى أنه كان  
ينام على كنية ويترك لها السرير لتنام وحدها. صار يعاملها بكل لطف  
وعناية وان لم يخل الأمر أحياناً من كلمات جارحة تأتي رداً على زلات  
لسان تبدو من لين. لكن القضية لم تتعد الكلام المؤلم الفظ.

حاول الفجرى أن يظهر الجانب الحسن وبالتالي سحق شخصيته  
الشريرة المرعبة. وقد نجح لا في ازالة خوف لين فحسب، بل بانشاء  
علاقة ود بين الاثنين. فأضحت قوته خالية من البطش وسطوته بعيدة  
عن الظلم. كما غاب عن لين الشعور بالأسى والمرارة اللذين رافقها  
كظلمها في أيام اختطافها الاولى. ولكنها لم تكف مع ذلك عن الحديث  
عن الهرب في أول فرصة تلوح لها.

وفى الحقيقة صارت لين مقتنعة تقريباً بحياتها كزوجة لفجرى

متجول. لا سيما وان رادولف لا يترك مناسبة الا ويذكرها بأن مكان  
المرأة هو أن تكون دائماً الى جانب زوجها. لكن ذلك لا يعنى شعوراً  
بالاستقرار بل كانت المرأة الشابة في حالة انتظار وتوقع دائمين متوقعة  
أن عثور زوجها على من يبحث عنه سيغير مسار حياتها.

سألت لين زوجها يوماً وهما في طريق العودة الى كيلارنى:

- الى متى سنظل ننتقل هكذا؟

- أعتقد أننا سنكون في بيتنا بعد حوالى الأسبوعين.

أوقف رادولف السيارة الى جانب الطريق وأخرج زجاجة عصير  
البرتقال ليتناول كوبين منعشين، في حين كان تفكير لين يعمل جاهداً  
لاستيعاب كلمة «بيتنا». عن أى بيت يتكلم زوجها؟

- أتعنى أننا سنستقر في مخيم محدد؟

قالت لين ذلك وهى تهز رأسها وتفكر بوجودها في مخيم للفجر  
وبالحياة المتعبة التى تنتظرها. وبرغم ذلك فهى تقر أنها لا تتصور  
نفسها تعيش بدون رادولف من دون أن تعلم السبب. عادت صورة  
توماس الى ذهنها في الايام الماضية لكن رادولف كان مصيباً عندما  
قال أنه لا يناسبها، فهو رجل طيب لكنه ليس خلاقاً مما يساهم في  
زيادة الرتابة في حياتها التى علمت من خلال تجربتها الجديدة مدى  
سخافتها، وانسيابها المجرد من أى طعم ومعنى.

قطع رادولف حبل افكارها بقوله:

- لا بد أن نتهى من رحلة الطواف هذه ونستقر.

اعترضت لين بلهجة ناعمة قريبة من التوسل:



- لا استسيغ فكرة العيش فى مخيم، الا نستاجر منزلاً؟  
رمقها بنظرة ملؤها الحيرة والتردد كأنه يخاف من البوح لها بأشياء  
يكتمها فى نفسه على مريض. لذلك اختار كلماته بدقة وقال بتمهل:

- أفهم من هذا انك أصبحت مقتنعة بالعيش معى؟

هربت لين من نظراته وأخذت تفكر لماذا لم تعترض على ذلك  
بشدة كما كانت تفعل فى السابق. وبعد أن وزنت الامور فى رأسها  
وترأت لها حياتها المقبلة وما يمكن ان تعانيه فى المجتمع الفجرى من  
عبودية تدمر المرأة وتذلها، صاحت بأعلى صوتها:

- لا! لم اقتنع بذلك! سأنتهز أية فرصة وسأنجح فى ذلك! انت لا  
تستطيع مراقبتى الى الأبد، لا تستطيع أن تراقب تحركاتى لسنوات  
وسنوات حتى. نصبح عجوزين هرمين!

ارتفعت حدة نبرة لين حتى جفل رادولف منها وزادت:

- أرجوك دعنى أمضى فى سبيلى، أرجوك دعنى أعود الى بيتى!

بكت المرأة بمرارة وغشى كيانها اضطراب كبير فأخذت ترتعش  
حتى أوقعت كوب العصير على ثوبها.

تناول الفجرى الكوب من يدها وانتظر حتى استكانت، وبالفعل  
عادت لين إلى هدوئها السابق وتكلمت بكل واقعية:

- لنعقد اتفاقاً بيننا. تعطينى حريتى مقابل سكوتى عن حادث  
الاختطاف وتعهدى بالأطلاع أحداً على ما جرى.

بلعت لين ريقها لتزيل الثقل القابع فى صدرها وأعصابها الثائرة

تجعل منطقها مغلوطاً، وفكرها شاردأ ومشوشاً. لم يعد شىء فى  
ذهنها واضحاً. وأحست برغبة فى الصراخ عندما مرت أمامها الصور  
متدافعة، صور الحرية والعودة إلى الوطن، صور رادولف الطاغية  
وسطوته القاسية تطردها صور طيبته ولطفه اللامتناهى. ودار فى  
أعماقها صراع قاس بين الحياة مع رادولف والحياة بدونه، فالأولى  
رحلة لا تنتهى بين المخيمات حيث شطف العيش، والثانية حلقة مفرغة  
تبحث فيها عن سعادة تائهة.

برزت الحقائق من بين غيوم عقلها المنهك. وعجزت لين عن  
الاختيار فلم تجد إلا صرخة صادقة تطلقها من أعماقها:

- ساعدنى يا الله!

- لين ما بك يا عزيزتى؟ بالله عليك لا تفعلى هكذا بنفسك!

لم تنبس المرأة بينت شفه بل نظرت إلى الفجرى لا تصدق أن ما  
يخلج فى قلبها حقيقة. همست فى نفسها:

- لا، هذا ليس صحيحاً، لا يمكن أن يكون صحيحاً...

تكلم رادولف ثانية لكنها لم تسمع شيئاً لانشغالها بالحقائق  
الجديدة. سرت فى جسمها رجفة قوية ثم سقطت بين يدى زوجها.

- لين، ما بك؟ هل أنت مريضة؟

كان صوته ناعماً ينم عن قلق عميق. رفعت رأسها وكأنها تخرج من  
الغيبوبة، ثم حدثت فى الرجل وتساءلت عما يمكن أن يكون تصرفه لو  
أطلعته على ما اكتشفت لتوها. أيستقبل الخبر بفرح أم يقول متشغياً:  
لقد وقعت فى غرام فجرى متشرد إذن! وهكذا لن تتركينى بعد الآن يا



امرأة لأن حبك لى يجعلك أمة خاضعة!

لن تخبره بذلك أبداً ولن يغير الوضع الجديد من قتل رغبتها فى الهرب لأنها لا تتوى قضاء حياتها معه برغم حبها القائل له . لن تستطيع رؤية أطفالها يترعرعون فى مخيم وسط القذارة وبعيداً عن المدرسة والبيئة الصحية المتحضرة . ستجعل العقل يسيطر على العاطفة وتحكم المنطق ليسحق الحب .

لما عادت إلى التفكير برادولف من جديد عاد التشوش والبلبله إلى ذهنها . لقد استنتجت فى السابق أنه يملك شخصية مزدوجة وقالت أنها لو استطاعت ابقاء جانبه السئ بعيداً لاستطاعت تمضية أيام حلوة معه . وهى الحقيقة أنه كان انساناً رائعاً خلال الاسبوعين الفائتين فهو عاملها بكل رقة ولطف، حتى أنه لم يحاول تقبيلها مرة...  
لقد كبح جماح غضبه لاسعادها وقدم مصلحتها على مصلحته دون أى أنانية أو حب للذات .

أى نوع من الرجال هو؟ لا تستطيع لين تحمل العيش مع رجل غامض إلى هذا الحد . وأن تكن تصرفاته الأخرى مقبولة ولائقة .  
نفذ صوت رادولف من خلال أفكارها كالنور يتسلل بخجل من بين طيات الضباب:

- سألتك هل أنت مريضة .

- أنا بخير الآن .

قالت لين الحقيقة لأنها بدأت تشعر بالتحسن مع أن أفكارها ماتزال مبلبله . نظرت إلى وجهه فكادت تقسم أنه ليس عجربياً ، لا

يمكن أن تكون هذه الوسامة الراقية فى عجرى...  
غيرت لين الموضوع فجأة وسألته عن هوية الشخص الذى يبحث عنه . جفل رادولف لسؤالها وقال:

- ألم تقولى من قبل أنى أبحث عن شخص ويررت استنتاجك هذا؟  
- قلت أن هذا هو التفسير الوحيد لتثقلك الدائم .

أطرقت لين قليلاً وزادت:

- سأكون صريحة معك هذه المرة .

- تفضلى .

- سمعت الرجل العجوز يتحدث إليك عن رجل لم يأت إلى المخيم وينضحك بالأ تكمل البحث عنه .

- لم تخبرينى بذلك فى المرة السابقة .

- تعنى عندما قلت لك أنك تبحث عن أحد ما؟ لا فقد خفت أن تتضايق لو عرفت بأننى كنت استرق السمع .

- أطلعتنى الآن على شىء يضايقنى . ألم تخافى من إثارة غضبى؟

- لم أعد أخاف منك .

- قولى بصراحة يا لين، هل أنت أسعد الآن مما كنت عليه...  
توقف فجأة محاولاً إيجاد الكلمات المناسبة لانتهاء السؤال، لكن

دفعة من الشجاعة أتت لين فأكملت عنه:

- مما كنت عليه عندما كنت ترغمنى على...؟



فوجيء الفجرى لصراحة زوجته ولكنه كتم شعوره بذلك.

- أحسنت فهذا ما كنت سأقوله.

- لست سعيدة بل راضية.

ان ترددها وعدم ثقتها بما تقول يضرب بهما المثل. فلماذا تتكر أنها كلما نظرت إلى يديه القويتين وتذكرت مدى مساهمتهما الحنونة وتمنت لو يعيد الكرة؟ أهي قانعة به؟ ولم لا فهي تحبه. الحب... احتقرت نفسها لأنها وقعت في حباله مجرد أنه كان ودوداً معها في الأيام الماضية، كرهت ضعفها وسرعة ذوبانها في بحر العاطفة.

- وهل ترضيك حياتنا هنا بهذه الطريقة حتى نصبح عجوزين هرمين؟

- سؤالك غير مجد فأنا لا أنوى قضاء حياتي معك.

سمعت لين زوجها يتعهد بدل أن يفضب كالعادة وتساءلت إذا كان سلم بالأمر الواقع واقنع بأن المشاركة في الحياة الزوجية تأتي نتيجة الرضى المتبادل لا القهر والإلزال والإكراه.

انطلق رادولف بالسيارة صامتاً وملامحه قاسية كالحجر. ينظر أمامه كأن عينيه متجمدتان لا حياة فيهما. وغرقت لين بدورها في التفكير بمشاكلها وبالحل الأنسب الذي يخرجها من هذا المأزق.

توقف الفجرى في أحد المخيمات لكنه لم يمكث هناك سوى بضع دقائق. وأبلغ زوجته في صوت هادئ أنها سيمضيان الليل في منزل يملكه صديق له يقع على شاطئ البحر.

- أهنك أحد في المنزل؟

- المنزل خال فهو مخصص لقضاء العطلة الصيفية. أنا واثق أنه سيعجبك كثيراً فهو مجهز بكل شيء برغم بعده عن العمران.

- أتعنى أن المنزل منعزل؟

- يبدو أنك فكرت بالهرب يا حلوتي! لم أكن لأصطحبك إلى هناك لو لم يكن المنزل منعزلاً تمام الانعزال عن بقية العالم.

- أيستعمل المنزل لأغراض سياحية؟ فالبعض يحب تمضية وقت فراغه بعيداً عن الناس.

ضحك رادولف وعلق:

- استعملت بداية بارعة لاختفاء خيبتك.

- ماذا تعنى؟

- لا تدعى الغباء يا لين. اعتقدت أن وجودك في منزل على شاطئ البحر سيسهل الفرار، ففي المخيمات هناك من يراقبك ليلاً نهاراً.

- الفرار من مخيم للفجر مستحيل، أما بالنسبة لاستنتاجاتك الأخرى فأنت مخطيء لأنى صرت أعرفك وأدرك أنك متيقظ دائماً لاحباط أية محاولة أقوم بها للافلات. لكننى فقط أستغرب وجود منزل مخصص للعطلة في مكان منعزل كما فهمت من كلامك.

- لقد بنى صديقى هذا المنزل منذ أربع سنوات حتى يهرب من همومه ويرتاح هناك من عناء أعماله المتراكمة.

عجبت لين لكلام زوجها. فكيف يتوصل فجري متشرد إلى مصادقة شخص ثرى يبني منزلاً مجرد حبه الاختلاء بنفسه!



- لابد أن صديقك ثرى جداً! أنا... لم أعد أفهم شيئاً. أه لو تخبرنى المزيد عن نفسك فلربما اختلفت الأمور بيننا.

ضغط رادولف على فرامل السيارة حتى كاد رأس لين يرتطم بالزجاج الأمامى. نظر إليها بدهشة وسألها:

- ماذا تعنين بمختلفة؟

هزت المرأة رأسها عاجزة:

- لا أستطيع التفسير.

وبالفعل لم تكن تستطيع التوضيح لأنها هى نفسها لا تعلم ماذا تقصد تماماً من كلامها.

انطلق الفجرى بالسيارة، وقاد لساعات فى طرق منعزلة تتعرج بين الهضاب الخضراء حتى انعطف أخيراً فى ممر ضيق لا يعرفه أحد وليس موجوداً على الخريطة كما أبلغ زوجته.

استمر سيرهما فى هذا المكان النائى حتى وصلا إلى طريق صخرى فأخذت السيارة تقفز على الحجارة وراكبها يعانيان صعوبة بالغة حتى بلغا أخيراً بوابة عتيقة منحوتة فى الحجر تدل على أن المنزل بنى على انقاض بناء قديم. وخلف البوابة والصور المحيط بالأرض نمت أشجار خضراء من مختلف الأنواع، وتوزعت أزهار وورود زاهية هنا وهناك تضى على الجو رونقاً وضياءً.

كانت أشعة الشمس ماتزال ساطعة ترسل ألوانها على المنزل الأبيض المحاط ببساط من العشب الأخضر وسجادة من الأزهار.

انقعد لسان لين من الدهشة وصعقت لجمال هذه البقعة الطاهرة التى لم تدنس عذريتها مكائد الإنسان.

- أه ما أروع هذا المكان!

أجالت طرفها بين الجبال الشاهقة والبحر المترامى الأطراف فى زرقة يخالطها بياض الزيد. عجيبة هى طبيعة أيرلندا فى جمعها بين ارتفاع الجبال ووداعة البحر فى لوحة واحدة.

- كيف وصل صديقك إلى مكان كهذا؟

مرت لحظات تردد قبل أن يجيب زوجها:

- إن عائلته تملك هذه الأرض منذ عدة أجيال وقد أقامت فيها مزرعة كبيرة.

أشار بيده إلى بقايا البناء المتهدم وقال:

- كان هذا بيتاً لعمال المزرعة. وجد صديقى المكان مناسباً لبناء منزل يستريح فيه عندما يحتاج إلى الابتعاد عن عالم الأعمال والضجيج.

- وماذا يعمل صديقك؟

- إنه ثرى لديه أملاك كثيرة.

دخل الزوجان إلى المنزل الفخم حيث الأثاث الوثير والسجاد العجمى والستائر الحريرية الفاخرة. وأعجبت لين بالثريات والكريستال والآنية الفضية وتمائيل العاج والبرونز.

كما لفت نظرها الديكور الذواق الذى نظمت على أساسه حجرة الصالون، ثم هزت رأسها مدركة أن هذا المكان ليس لفجرى، وظننت أن



رادولف ليس صديقاً لمالكة كما ادعى، بل هو يدخل إليه خلسة عندما يعلم أن أصحابه غائبون. ولكن من أين أتى بالفتاح؟ الجواب على ذلك ليس مستعصياً لأن رادولف لص محترف.

أعادها صوت رادولف إلى الواقع عندما بادرها بالسؤال:  
- بماذا تفكرين؟

- كنت أفكر بكل هذا المال المهذور على بيت شبه مهجور.

لم يقنع جواب لين زوجها الماكر فصصح قولها:

- لا يا عزيزتي، كنت تقولين في نفسك كيف يمكن لفجرى حقير أن يتعرف إلى أصدقاء أثرياء كصاحب هذا المنزل؟

مرة أخرى عادت مسحة المرارة إلى صوت رادولف. ولكن لين لم تشعر بالشماتة. لذلك بل انزعجت وحاولت تغيير اتجاه الحديث.

بعد ذلك أراها غرف النوم المرتبة والنظيفة كما دخلا إلى المطبخ الواسع والمجهز بأحدث الوسائل المعيشية وأثمنها.

- لا بد أن أحداً يأتي إلى هنا باستمرار حتى يبقى المنزل نظيفاً.

هز رادولف برأسه موافقاً وهو يشير إلى بقعة خضراء لا تبعد كثيراً عن البيت.

- هناك مزرعة صغيرة خلف تلك الأشجار تملكها أرملة في الخمسين كلفها صديقي المجيء يومياً للاهتمام بالمنزل.

- يومياً؟

- ستأتي في الصباح الباكر وهكذا ستأكدين من أني لست متسللاً إلى هذا البيت.

احمر وجه لين لملاحظاته الجارحة والصائبة لكنها رأت في مجيء هذه المرأة عملاً يحتمل أن يساعدها على الهرب.

- لا تبني آمالاً كاذبة فالسيدة وايت تحبني كثيراً وتتفد أوامري.

- يبدو أن لديك الكثير من المحبين.

تجاهل الفجرى ملاحظة زوجته وقال:

- المياه ساخنة الآن إذا كنت ترغيبين في أخذ حمام. لقد أخبرت

السيدة وايت بمجيئنا وأمرتها بتسخين الماء.

حدقت لين فيه بذهول مطبق.

- أخبرت السيدة؟.. ولكن متى وكيف فعلت ذلك؟

ضحك رادولف وأجاب:

- طلبت إلى أحدهم في آخر مخيم توقفنا فيه أن يتصل بها ويخبرها.

أمضت لين وقتاً طويلاً في غمرة المياه الساخنة. ولما عادت إلى غرفة النوم كانت هادئة ومرتاحة الأعصاب.

جلس رادولف يتأمل جمال زوجته ونظر إلى ساعة كبيرة معلقة على الحائط وقال:

- يبدو أنك تمتعت كثيراً بالماء لأنك أمضيت ما يقارب نصف الساعة في الحمام.

- آسفة لتأخري.



- لا عليك يا طفلي فأنا كنت مشغولاً بأجراء بعض المكالمات الهاتفية.  
مخابرات هاتفية... هذا يعنى أن ثمة هاتفاً فى المنزل. حاولت  
المرأة أن تتكلم بلهجة عادية حتى لا يتنبه زوجها لحيلتها.  
- ألا يضايق صديقك استعمالك لهاتفه؟  
- لا أبداً.

دخل رادولف بدوره إلى الحمام تحت أنظار زوجته المتسائلة عن  
نوعية مكالماته التى ليست بالطبع موجهة إلى مخيمات الفجر، لأن هذه  
الأمكنة لا تعرف الهاتف.

انتظرت بضع دقائق حتى سمعت صوت المياه، ثم خرجت من  
الغرفة على رؤوس أصابعها وشرعت تبحث عن مكان الهاتف دون  
جدوى. أخضاه رادولف الداهية لإدراكه أن زوجته لن تكون غبية وتدع  
فرصة استعمال الهاتف تفلت من يدها وتضيع هباءً.

تخلت لين عن البحث وجلست تفكر فى طريقة حديث زوجها عن  
الهاتف، وكأنه يتعمد خلق مواقف تجعلها تطرح على نفسها المزيد من  
الأسئلة حول حقيقته. تمنت لو تجد سبيلاً كى تقنعه بالإجابة على  
التساؤلات الدائرة فى ذهنها والتى تسبب لها حيرة وانفعالاً عظيمين.

بماذا تشك المرأة؟ ما هو التفسير الشافى لكل الغموض الذى  
يحيط بزوجها؟ من المسلم به أن رادولف فجرى ومع ذلك لا يمكنها  
انكار بعض الصفات التى تجعل منه شبيهاً بأى رجل مثقف لا بل  
أرستقراطى نبيل، سواء فى حديثه أم فى تصرفاته. ففى الفترة  
الأخيرة عندما جالا فى البلاد، انتفت عنه كل علامة تشير إلى أنه

فجرى. حتى ملامحه تغيرت وارتدى ثياباً عادية تختلف عن الزى شبه  
«الفولكلورى» الذى كان غالباً على هندامه فى السابق.

لكن، لماذا هذا التبدل أو لماذا عمد رادولف فى بداية تعارفهما إلى  
كسب عدائهما؟ لماذا... لماذا! أسئلة لا تنتهى! يضاف إليها هذا المنزل  
الفخم قطعة جديدة فى الأحجية. مادام من غير المعقول أن يكون  
لفجرى صديق حميم بهذا الثراء يعهد إليه بمفاتيح بيته ويعطيه حرية  
التصرف المطلقة سيما وأن رادولف بدا معتاداً على المجيء إلى المكان  
من خلال معرفته كل التفاصيل المتعلقة بالأثاث وبتاريخ المنزل وظروف  
تشيينه... يضاف إلى ذلك السلطة التى يستطيع بموجبها أن يأمر  
الأملة بتحضير البيت وتنظيفه استعداداً لحضوره.

فى هذه اللحظة دخل رادولف الغرفة مرتدياً لباس نوم أنيقاً يتناقض  
مع شعره غير الممشط ويعطيه شكلاً فريداً يجمع بين الأناقة والطبيعة  
البدائية... لا يقال عن رادولف إلا أنه طائر يفرد خارج سريره!

عرف الفجرى ما أثاره مظهره فى نفس زوجته فقال معتذراً:

- أسف لمظهرى، ولكنى سأتحسن مع الوقت إذا اهتمت أكثر بالتفاصيل.  
- لا ضرورة للسخرية. أعتقد بأننى أشعر بالبرد، فالجو ليس دافئاً  
كفاية هنا؟

سارع إلى تشغيل جهاز التكييف، وعلى الفور غمر المكان دفاً  
عارم. بعد ذلك عاد رادولف إلى غرفة النوم وفتح دولاب الثياب.

- ستجدين ثيابك وحقيبتك هنا.

استدار وأكمل:



- أظن أنى رأيت بين ملابسك فستاناً طويلاً .

. ماذا عن الفستان؟

- أريدك أن ترتديه الليلة .

مرر نظراته الشغوفة على وجهها وأكمل:

- سنتناول العشاء بكامل أناقتنا كأناس متمدنين .

عدلت المرأة عن الاعتراض لأن فكرة ارتداء ثوب أنيق والجلوس إلى طاولة لتناول الطعام محبذة بعد كل هذه الفترة البوهيمية، حيث تخلت مرغمة عن مبادئها المتعلقة بالنظافة والشكليات.

منحها رادولف إحدى بسماته قبل أن يقول:

- أرى أن اقتراحى أعجبك . أخرجى الفستان إياه لأراه .

فعلت لين كما أمرها وأخذت تتمشى أمامه فى الثوب الأصفر الطويل . بل على العكس قالت بعد أن أحضرت فستاناً آخر ذا لون أرجوانى:

- ما رأيك بهذا؟

أقترب الفجرى من زوجته فأحست بالعرشة تعثرها وكأن فى الرجل قوة مغناطيسية غريبة يزيد منها طبعه المتكبر . احمرت وجنتا المرأة وثقل تنفسها وفى ذهنها فكرة واحدة: حبها لرادولف . مع اقتراب رادولف منها أكثر زادت دقات قلبها أكثر فاكثرت . وعلمت أنه لو أراد ضمها إلى صدره لما أحجمت بل لرحبت بذلك بكل جوارحها . لكن زوجها خيب آمالها واكتفى بطبع قبله حنونة صادقة على جبينها .

## ٨ . مشاعر متوقدة

جلس رادولف ولين متقابلين إلى مائدة مضاءة بالشموع فى شمعدان فضى، ومزينة بمزهريه مليئة بورود حمراء . وعلى طرف المائدة وضع إناء ملئ بمختلف أنواع الفاكهة . أما المفرش فأبيض كالثلج تضيئه السكاكين والشوك الفضية .

جلست لين فى فستانها الأصفر سعيدة كما لم تكن يوماً منذ أن التقت رادولف، وهى تعلم أن هذه السعادة لن تعمر طويلاً .

فالأمسية ليست إلا واحة وارفة فى صحراء حياتها مع زوجها، والتي تنوى الخروج منها برغم كل الاعتبارات الأخرى وأهمها... حبها للفجرى .

تمكن رادولف بطريقة ما من الدخول إلى هذا المنزل الذى يحوى فى ما يحويه، حوضاً للسباحة فى قاعة مقفلة مكيفة، وملعباً لكرة المضرب فى القاعة نفسها، كما أقيمت فى الجهة الخلفية بحيرة اصطناعية صغيرة لاكمال اللوحة الفنية خاصة وأنها تطل على الهضاب الخضراء الحاملة .

قررت المرأة الشابة نسيان شكوكها لتمضى وقتاً ممتعاً فى هذا



المكان الذي اعتبرته أكثر شاعرية من كل ما أبصرت عينها . فلم تستغل الفرصة وتتذوق حلاوة كل دقيقة تمر بدلاً من أن تشغل فكرها في ما لن تستطيع توضيحه؟

من جهته ارتدى رادولف بزة رسمية سوداء وتحتها قميص أبيض يزيد اشراقاً لون بشرته السمراء، لكنه لم يبد منزعجاً من لباسه هذا أو غير معتاد عليه .

تدخل صوته معلقاً بعدوبة:

- أنت هادئة كثيراً يا عزيزتى .

- إنى أتمتع بهذه الأمسية اللطيفة .

- وترتدين بالطبع أن تطرحى الكثير من الأسئلة . أنت أكبر امرأة عاقلة رأيتها فى حياتى .

- وهل تريدنى أن أضع كل ثقى بك؟ ماذا تفعل لو كنت مكاني؟

تجاهل رادولف سؤالها وأهتم بصب الكافيار الفاخر الذى وجده فى خزانة مليئة بالمعلبات على اختلافها . وبعد أن انتهى قال:

- لماذا لا تطرحين على بعضنا من تلك الأسئلة المقلقة؟

- ومن قال إنها أسئلة مقلقة؟

- ذلك يقرأ على وجهك يا عزيزتى . فلنقل أنك فى حيرة، وسبب الحيرة أشياء كثيرة حدثت فى الفترة الأخيرة .

- أشياء لا تحصى ولا تعد .

توقفت لين لتتذوق بعض الكافيار ثم أضافت:

- أتعنى أنك مستعد للإجابة على الأسئلة، فأنت لم تخرج عن تكتلك حتى الآن؟

- ليس فى الأمر تكتم بل عدم ضرورة للروح بكل الأسرار .

كان يحرق فيها ووهج نار الشموع يزيد من سحر وجهها وجماله . أعادت إليها نظراته ذكرى لقائهما الثانى فى الغابة عند ما جاء على حصانه وبدا مسحوراً بجمالها . كان فى الحقيقة مختلفاً وقتها عما رآته فيه فى اللقاء الأول .

- وهذه الضرورة أصبحت متوافرة الآن!

وجف قلبها إذ أدركت بحدس ما إنها على وشك اكتشاف أمر خطير كفىل يجلب السعادة الدائمة . اختلج فى نفسها شعور غريب تلاعب بانفعالاتها وجعلها فى الوقت نفسه تقتنع بأنها لو عرفت كيف تعالج الوضع الجديد الذى سيخلقه رادولف لما عاد زواجها منه تلك المساة التى بدأت عند اختطافها وإرغامها على عقد زواج عجربى لا تؤمن كثيراً بصحته أو شرعيته .

أجاب على سؤالها وكادت تتولى المهمة عنه عيناه الحزبتان:

- من المفيد لنا نحن الاثنتين أن أوضح لك بعض الأمور التى أوقعتك فى مغالطات جملة .

لاحظت المرأة الحزن فى عينى زوجها وتمنت لو تستطيع فعل أى شىء لتمحو هذه المسحة الأليمة من نفس من تحب . إزاء سكونها أكمل العجربى:

- بالرغم من ذلك أفضل يا عزيزتى ألا تطرحى أسئلتك الآن بل



لندع الأمور تتكشف تلقائياً، وذلك بات قريباً.

هز رادولف رأسه وتجهم وجهه وبدت عليه علامات القلق والتردد عندما قال بصوت خافت:

- نما فى داخلى إحساس بأن نظرتك إلىّ تغيرت يا لين، ولكنى لست أكيداً... لا، لا أجرؤ...

اقتحمت كلماته كالسهم أعماق لين واختلطت عليها الأمور إذ لم تفهم ما قاله زوجها. ليس أكيداً... وبالتالي لا يجرؤ على مصارحتها بما يريدتها أن تعلم عنه. أحست ليس بأن فرصة العثور على السعادة باتت وهمياً وبأنها لم تخلق لتعيش مع هذا الرجل تحت سقف واحد. ولكن هل هى واثقة تماماً من رغبتها فى العيش معه؟ مرة جديدة رأت مستقبلها قائماً وفارغاً إذا تخلت عن رادولف. ومن جهة أخرى هى لا تستوعب فكرة الحياة غير المستقرة التى يعيشها هؤلاء الفجر. نظرت إلى زوجها متوسلة وتمتمت:

- أرجوك يا رادولف، أظعننى على الخبايا، فأنا زوجتك ويحق لى أن أعرف شيئاً عنك.

هز الفجرى برأسه مرافقاً بدون أن يبدر منه ما يرضى فضول زوجته بل قال:

- لنركز اهتمامنا الآن على وجبة العشاء سيما وأنها الأولى لنا فى مثل هذا المكان الرائع.

لم تجد ابتسامة رادولف فى إزالة خيبة زوجته لأنه تهرب من الموضوع. والألم أصبح الآن أشد وقعاً منه فى الماضى كونها صارت

أسيرة حب هذا الرجل، وأضحت متشوقة لكشف حقيقته.

بعد الكافيار جاء دور شرائح اللحم المشوى التى حضرها الزوجان فى المطبخ الكبير بعد أن جلبهاها من الشلاجة الكبيرة المحتوية على الكثير من اللحوم وأنواع الطيور الشهية. وقد برر رادولف وجود هذه الأطعمة بوجود السيدة وايت الأرملة الطيبة التى تهتم بشؤون المنزل.

- أنت تتعب السيدة وايت بطلباتك المتعددة يا رادولف.

- السيدة وايت راضية فهى تجد فى الأمر تسلية تنسيها وحدتها.

كما أننا بحاجة لهذا الترف بعد طول التنقل من مخيم لآخر.

- ولكنك تعشق حياة الفجر، أليس كذلك؟

- العادة تسهل كل شىء وتجعل المستحيل كعقولاً. ولا أخفى عليك

سراً إذا قلت أنى أحب التمتع بالحرية التى توفرها حياتنا الفجرية.

- ولكن حياتكم خاوية إذ لا عمل فيها ولا نشاط.

- ليس كل الفجر بالضرورة عاطلين عن العمل. فهم يصنعون بعض

أدوات الطبخ ويتعاطون التنجيم وما إلى ذلك.

انتهى الزوجان من تناول الطعام فسأل الفجرى:

- هل أعجبك الطعام؟

- كان رائعاً، رائعاً جداً.

طفى على الجو مسحة من السحر والود. ولم تفكر لين بالمشاكل

التي تفسد عليها روعة الساعة بل تركتها جانباً لتتعم بهنياهات فرح نادرة.

تناولا القهوة ثم اقترح رادولف أن يخرجوا لتتشق الهواء المنعش.



وافقت لين على الفكرة وأن اعترافها على الأثر بعض الخجل.

سحرت لين بجمال الطبيعة وبابتسامة رادولف السخية. الآن أدركت مدى وسامته وأنها صارت تنتظر إليه كرجل مهذب متحضر لا كفجرى متشرد في هذه الليلة رأت لين مملكة رسمتها في خيالها، مملكة تعيش فيها مع فارس أحلامها وفي مكان لا تحققه إلا الأحلام... ولكن حلول الغد سينهى هذا الحلم...

تجولاً في الحديقة والمرامى المحيطة بالمنزل، يداعبهما نسيم منعش يحمل معه رائحة البحر الممتزجة بعطر الأزهار.

تشقت لين الهواء بنهم وأفكارها محاطة بالضباب بفعل الجو الغامض وهي فرحة بذلك لأنه يحملها بعيداً عن همومها في سمفونية عذبة الألحان.

سألها رادولف كي تخرج عن صمتها:

- هل أنت هادئة المزاج الآن؟

- نعم.

- البحر هادئ الليلة ويشجع على السباحة.

- أنت تسبح إذن.

أجاب رادولف متعجباً لسؤالها:

- بالطبع.

لم تسأله لين هذه المرة كيف يجيد السباحة مع أن الفجر لا يجيدونها عادة، بل تجاوزت فضولها كي لا تضد النزهة الليلية.

- ما رأيك يا عزيزتي بالصعود نحو التلال؟

- أتعرف الطريق جيداً؟

- لا تقلقى فأنا أعرف المنطقة وأستطيع السير في مسالكها مغمض العينين.

أبتدأ لين بطرح الأسئلة حول سبب معرفته التامة بالمكان؟ لا، فلا حاجة لافساد السهرة الرائعة حتى وإن كان انسجامها مصطنعاً بعض الشيء إذ يتغاضى كلاهما عن الحقيقة.

اتجها نحو التلال في طريق مغطى بالعشب الكثيف. والقمر بدأ يختبئ خلف بعض الغيوم فصار الضوء مصحوباً بظلال رقرقة تتراقص على البساط الأخضر الفسيح.

وضع رادولف يد زوجته في يده فغمر الدفء جسمها وأصبح كل شيء جميلاً جمال هذا الحلم المجنون. حبذا لو ينقلب الحلم حقيقة ويصبح فرح هذه اللحظات سعادة دائمة.

تفرقت الغيوم فعاد القمر إلى جود عطائه يرمى أنواره على قمم التلال وسفوحها فتنعكس على حبيبات الندى التي تكلل رؤوس الأشجار وتخالط وريقات العشب. والنسيم المليء بالشذى يشترك مع الطيور الليلية في أداء أبداع الألحان وأروعها.

في الطريق إلى البيت تساءلت لين عما إذا كانت الحاجة التي تدعوها للبقاء إلى جانبه هي وليدة اللحظة وستزول متى انفصلت. والأكيد الآن أنها ترغب في الإرتواء بين ذراعيه تدفئ قلبها بحرارة اللفة والهوى.



وصلا إلى المنزل ورنين الهاتف يملأ أرجاءه. فهرع رادولف ليجيب، بقيت لين في الخارج تتأمل الهضاب الواسعة والبحر الرحب تتكسر أمواجه على الشاطئ، وتطير حبات الماء لآلىء تستحم بنور القمر. وفجأة أدركت أن في وسعها الهرب والعتور على أكثر من مخبأ في هذه المنطقة الشاسعة بحيث يستحيل على الفجرى أن يجدها في الظلام. معطفها معها وكذلك الماء، فما عليها إلا أن تركض وتعال حريرتها... الحرية أصبحت على قاب قوسين أو أدنى منها، فلماذا لا تفعل؟

مازال رادولف يتكلم على الهاتف ويبدو أنه لن ينتهي من المكالمة بسرعة. من على الطرف الآخر من الخط؟ لو كانت المكالمة موجهة لصاحب المنزل لانتهدت بسرعة. المكالمة هي لرادولف إذن.

أصغت المرأة بانتباه ولكنها لم تتمكن من الفهم لأن زوجها كان يتحدث بصوت منخفض. كيف ارتكب رادولف مثل هذه الغلطة وتركها حرة بدون حراسة، وقدم لها بذلك فرصة الفرار على طبق من فضة! وقفت لين كالبهاء مشدوهة لا تدري ماذا تفعل. الهرب متاح أمامها على مصراعيه فلماذا لا تستغل الفرصة؟ لماذا التردد؟

أخيراً ابتسمت والتمعت عينها وعلمت أن هذه الليلة الشاعرية يجب أن تستمر حتى آخر فصولها. ألقت نظرة على العالم في الخارج ثم دخلت وأقفلت الباب بهدوء.

استدارت لين لتجد زوجها واقفاً يحرق فيها وتملاً وجهه علامات الاستغراب والدهشة. وقفت المرأة جامدة لا تقوى على الحراك إذ

علمت نوايا زوجها. ولكنها لا تأبه بها لأنها مصممة على خوض غمار كل ما تقدمه هذه الليلة «الاستثنائية». وقفا ينظران إلى بعضهما حيث عجز الكلام عن التعبير عما يختلج في النفس ويفيض في القلب. أخيراً استطاع الرجل أن ينطق:  
- يا حلوتى...

مد يده إلى زوجته وإمارات الفرغ تقفز من عينيه وتهذب من قساوة ملامحه البدائية ذات الجمال الوحشى النقى.  
تجاوبت لين لدعوته بابتسامة رقيقة كفيلا بإذابة الصخر وأكثر القلوب تحجراً. ومدت يدها بخجل إلى يد زوجها.  
- كان بوسعك الهرب بسهولة... ولو فعلت لما تمكنت من العثور عليك أبداً.

قال رادولف ذلك وهو يكاد لا يصدق أن لين أضاعت هذه الفرصة السانحة وفضلت البقاء معه على استعادة الحرية.  
تحولت عبارات الدهشة في عينيه إلى حنان فائض وملأ قلبها شعور واحد: الحب. حب حملها بعيداً عن الهموم الحياتية، وأحاسيس رفعتها من مستوى المادة إلى مستوى الشعور.  
- لين... ما سبب الذى يجرى بيننا الآن؟  
وأضاف متراجعاً:

- لا أهمية لذلك فيكفيني أن ما يجرى رائع...  
قاطعة رنين الهاتف فوقف متردداً، أيجيب أم يستجيب لرغبته



بالبقاء قرب زوجته؟ كرهت لين صوت الهاتف وتمنت لو يخرس حتى لا يسلبها رادولف. وكم كان سرورها عظيماً عندما قرر الفجرى تركه يرن والبقاء معها.

- فليذهب الهاتف إلى الجحيم لأنى لست مستعداً لتركك الآن.  
- تنفست المرأة الصعداء وزادها قراره ثقة بنفسها وبمكانتها عنده.  
هل فهم رادولف أنها غارقة فى حبه حتى أذنيها؟ هل أدرك أن سلطته عليها لم يعد سببها السطوة بقدر ما صار الحب؟  
- رادولف... اسمك غريب ولكنه يعجبني.

- اسمى ايرلندى قديم جداً.

- اليس اسماً عجرياً؟

- لا.

تردد رادولف طويلاً قبل أن يكمل:

- فى الحقيقة هو اسم كان يطلقه نبلاء ايرلندا على أولادهم.

- وكيف اتفق أن عجرياً حصل على اسم نبيل ايرلندى.

- لا أعتقد أن فى ذلك جريمة.

دفعها الفضول إلى مزيد من الأسئلة.

- وهل هناك الكثير من رجال الفجر يحملون نفس الاسم؟

- أظن أنى الوحيد الذى يحمله.

- لم تذكر لى شيئاً عن والديك يا رادولف.

قال وقد ملأ صوته حزن عميق:

- كلاهما ميتان.

غرقت لين فى ذراعيه أكثر.

- أخبرنى عن أمك.

شعرت وكأنه ارتجف فجأة:

- ماتت أمى وهى تضعنى.

- آه! أن هذا الأمر مؤسف حقاً.

لم يتجح رادولف عندما علق على كلامها فى اخفاء الأسى من نبرته.

- إن موتها المبكر لم يشعرنى بفراغ لفقدانها، فلو ماتت وأنا فتى

يافع مثلاً لكنت أصبت بحزن أكبر.

- أنت وحيد فى هذه الدنيا إذن.

وكيف تخيلت أنتى وحيد فى هذه الدنيا؟

- أديك اخوة أو اخوات؟

لم يجب الفجرى على سؤالها مباشرة بل اكتفى بالقول:

- كنت أعتبر نفسى وحيداً حتى تزوجت منك.

- أنت لم تجب على سؤالى.

- حسناً يا عزيزتى، لى أخ واحد.

- أنى أحسدك على ذلك. أين يعيش أخوك؟



- في أحد مخيمات الفجر.

- ألا تراه أبداً؟

أجاب رادولف بحدة وكان الموضوع بات مزعجاً:

- لم أره منذ مدة طويلة. كفانا كلاماً الآن ولنخلد إلى النوم.

- لست بحاجة للنوم الآن.

قالت ذلك وأكملت بسرعة حتى تمنعه من التعليق:

- للأسماء القديمة معانٍ فما معنى رادولف؟

- أخشى أن لا يعجبك معناه، فكلمة رادولف تعنى الذئب السريع.

لقد كان الفجرى بالفعل ذئباً سريعاً عندما لحقها على حصانه واختطفها. نظرت لين إلى الجرح فرأت أثره واضحاً على خده وخشيت ألا يزول أبداً.

- أعتقد أن اسمك مخيف قليلاً.

- لا أنوى أخافتك الآن لأنى أريد أن أنام.

طبع قبلة ناعمة على جبينها وأطفأ النور ضاماً إياها بين ذراعيه. وما كادت تمر دقيقة حتى غط في سبات هانىء وعميق.

أفاق الزوجان باكراً وجلسا على الشرفة الواسعة يتناولان طعام الفطور. وبعد قليل رن جرس الهاتف، هب رادولف من كرسيه معلقاً:

- لاشك أنها المكالمة التى كان يجب أن أجيب عليها بالأمس. أكملنى فطورك يا عزيزتى فلن أغيب كثيراً.

عاد رادولف بعد قليل متجهم الوجه كأن حادثاً كبيراً قد وقع فسألته زوجته قلقلة:

. ما الأمر؟ هل هناك ما يقلق؟

- لا شيء يا لين.

- ولكن كيف تتلقى مكالمات ولا أحد يعلم بوجودنا هنا؟

- أنت مخطئة فى تكهناتك بدليل أننى تلقيت مخابرة بالأمس.

- مخابرة من الأشباح على ما أظن! لماذا تحيط نفسك بهذه الهالة من الغموض وبهذا الحجاب من الأسرار؟ أشعر بنفسى إزاء ذلك انसानة غريبة لا زوجة!

لم تلحظ المرأة أن عينى زوجها الغاضبتين تدلان على عدم رغبته فى الكلام وعلى مزاجه المعكر، بل دفعها قلقها عليه إلى المزيد من الالاحاح فقال الفجرى بحدة:

- ألن تكفى عن الأسئلة السخيفة؟

بدأت الأفكار السوداء تلعب فى رأسها من جديد. أياكون سبب تكتمه الشديد حيال اتصالاته نشاطات غير مشروعة يقوم بها؟ وقد تكون هذه النشاطات مصدر المال الوفير الذى يملكه والذى يخوله القيام برحلات طويلة والانفاق على ثيابه الغالية. كما هناك الحصان الأصيل الذى امتطاه فى الغابة، ووجوده فى هذه الدار الفخمة... أمن المعقول أن يكون المنزل ملكاً له وهو مجرد فجرى! أسئلة لا تعرف لها جواباً واحداً...



كانت غارقة في أفكارها فانتشلها صوت زوجها:

- أنا مضطر للخروج يا لبن. أتعدينني بأنك لن ترحلي؟

ضربت لبن الأرض بقدمها وقالت بإصرار:

- سأرافتك!

رأت الرفض القاطع في عينيه. ثم هدأت بعد أن خطرت لها من جديد فكرة الفرار. وبرغم بزوغ فجر الحب في قلبها، فهي امرأة تنتمي إلى محيط اجتماعي مختلف تماماً عن هذه البيئة الفجرية. فالحب مهما قوى وعمق لا يستطيع أن يغير من واقع الحال شيئاً ويجعلها تندمج في حياة رادولف وقومه، فجدوته لأبد ستخبو مع الوقت ومع اصطدامها بمرارة الواقع الذي تعيشه.

احتاجت لبن إلى شجاعة فائقة لتحبس دموعها. ولكن شجاعته انهارت فجأة عندما أعاد عليها زوجها السؤال نفسه.

- أتعدينني بأنك لن ترحلي؟

أمام ترددها لم يجد الفجرى حلاً سوى حبسها في غرفة النوم. وفي الوقت الذي سمعت فيه لبن صوت المفتاح يدور في القفل نظرت صوب النافذة. غلطة جديدة ارتكبها رادولف بسبب انشغاله وقلقه الشديدين. ما عليها الآن سوى انتظار رحيله لتخرج بكل سهولة من النافذة، فالببيت من طابق واحد ولا خطر من التسلل عبرها. لكن لبن لم تترو وتنتظر ذهاب زوجها فسرعان ما ارتدت معطفها وأخذت حقيبة يدها ثم فتحت النافذة وأصبحت في الخارج.

كانت أشعة الشمس ساطعة والبحر ساكناً والطبيعة هادئة. ولم

تستطع لبن محو ذكرى التفاصيل الحلوة التي تسربت في الليل الفائت لتضيء ظلام حياتها. عاد كل شيء الآن إلى سابق عهده. وها هي تنفذ عملية الفرار التي غابت عن فكرها في ساعات السعادة الماضية.

آه لو كان رادولف رجلاً عادياً كغيره من الرجال! رجل يشغل وظيفة محترمة ويهتم بتأمين الرعاية والحنان لزوجته وأولاده...

انهمرت الدموع من عينيهها وكادت انفعالاتها تقودها إلى العدول عن الهرب والمغامرة في البقاء زوجة لهذا الفجرى الذي أحبته. لكن الغلبة كانت في النهاية للعقل والمنطق. فتابعت المرأة طريقها بين شجيرات الحديقة لتجد منفذاً يقودها إلى الطريق العام. وبينما هي تختبئ، بين الشجيرات سمعت رنين الهاتف في المنزل ووقع قدمي رادولف يهرع للاجابة. عندها دفعها حدسها للعودة إلى المنزل فجلست القرفصاء تحت نافذة غرفة الجلوس منصته إلى الحديث.

- ... أحسنت يا أولاف أقلت أنه أت إلى هنا؟ أخيراً سأتمكن من...

لم تستطع ليم فهم بقية الجملة بل سمعت:

- كنت يائساً يا صديقي ومتأكد من أن الأمر سينتهي به في

السجن. لو أستطيع التحدث واقناعه...

وضاعت الكلمات من جديد فجنت لبن من الغضب. كادت تتوصل إلى معرفة الحقيقة لولا حظها السيء. وفجأة سمعت صوت زوجها يقول لأولاف:

- إذن لا حاجة لتحركي من هنا الآن. لقد اتصل بي راوول منذ بضع دقائق وأبلغني أن بوريل كان في مخيم روجنتري في السهل



المجاور، فقررت الذهاب لملاقاته هناك. أما الآن وقد أكدت لي أنه آت إلى هنا فسانتظره وأفاجئه.

توقف رادولف مفسحاً المجال لصديقه بالكلام. وتمنت لين لو تسمع ما يقوله الفجري الكهل لزوجها الذى عاد إلى الكلام بصوت منخفض فلم تتمكن المرأة إلا سماع بعض الجمل غير المترابطة.

- أرجو ألا يعلم بوجودي هنا... جاء مرة مع فتاته... صحيح وإلا لما عرفت... لا أعرف كيف أرد لك الجميل يا أولاف.

تساءلت لين عن معنى هذا الكلام وهى تنتظر زوجها ليعاود الحديث. لكنها تأكدت من أمر واحد وهو أنها ستبقى حتى يأتى المدعو بوريل عليها تشبع فضولها ويصدق الحدس الذى أنبأها بأن مصيرها ومستقبلها يتعلقان بقدم هذا الرجل.

- ... كان على الأخذ بنصائحك يا أولاف والكف عن مطاردته، خصوصاً بعد أن أصبحت مثقلاً بالمسؤوليات.

خفق قلب لين بشدة إذ فهمت أنه يعنيه بالكلام على «المسؤوليات».

- ولكنك تعلم يا أولاف أنى لا أقبل بالهزيمة. وأنا متفائل بأنى إذا تمكنت من لقاء بويل والتحدث إليه فسأسوى كل هذه الأمور معه.

أقفل الفجري الخط بعد قليل فقررت لين العودة إلى غرفتها قبل أن يكتشف زوجها غيابها. ولكن الحظ أبى إلا أن يوقعها فى مشكلة جديدة. فما كادت تخطو حتى تعثرت بغصن شجيرة وهوت بقوة فارتطم رأسها بالأرض وصاحت من الألم. لم تمر ثانية على سقوطها حتى كان رادولف إلى جانبها فحملها إلى المنزل على جناح السرعة.

أحست بكل شيء أمامها يتراقص. ومع ذلك لمحت فى عيني زوجها مزيجاً من الغضب والأسى. لقد خدعته بعدما تأكد من أنها لن تحاول الفرار أثناء غيابه. توقعت العقاب على عملها لكن الفجري ضبط أعصابه واهتم بأسعافها.

- أنها كدمة لا بأس بها على الاطلاق، سأحضر شيئاً يريحك.

نظر إليها وأضاف:

- لماذا فعلت ذلك؟

- لا تعتقد أنى كنت أنوى الفرار. على العكس...

لم ينتظر الفجري سماع المزيد فقاطعها حانقاً:

- لا تكذبى! ماذا عن حقيبة اليد هذه؟

قالت بصوت ضعيف والألم فى رأسها لا يكاد يطاق:

- اعطنى فرصة لكى أشرح لك ما حدث!

- من الواضح أنك لست على استعداد للبقاء برفقة فجري من حثالة المجتمع.

أخذ رادولف يقول بشبه همس:

- كان على أن أعلم أن المسألة ستصل إلى طريق مسدود لا محالة.

- ما الأمر يا رادولف، أخبرنى.

أخفت نبرة التوسل فى صوتها الحب الجارف الذى يكنه قلبها لهذا الرجل الغامض الواقف أمامها والمرارة تكاد تحطمه على رغم جبروته



واستبداده.

- ما الفائدة من اطلاعك على الحقيقة مادمت تحتقريننى وتصرين على أننى غير أهل لأن أكون زوجاً لك؟

أين التعالى الذى قابلها به فى السابق؟ أين الغطرسة والكبرياء؟ لقد تحول غضبه إلى ذل وصلفه إلى مهانة. ولما حاولت لين، مدفوعة بشعور الذنب، تطيب خاطره أسكنها بإشارة من يده.

- لا تحاولى اصلاح ما فسد. سأعرض عليك اقتراحاً أرجو أن توافقى عليها ولكن بعد أن تتاولى هذه الحبوب وتنامى قليلاً.

نهضت لين وأسرعت نحو غرفة النوم حانقة وهى ترغب برمى زوجها الفامض بأحد التماثيل لعله يخرج عن صمته المطبق.

- ما بك يا لين؟

- بالله عليك! أطلعنى على الحقيقة فهذا من حقى.

- أى حق هذا؟

- أنا زوجتك... ولى الحق فى معرفة كل شىء.

قاطعها بضحكة ساخرة تخالطها اللوعة.

- لا أستطيع إطلاعك على أسرارى ما دمت لا تعتبرين نفسك زوجتى.

- ولكنك كنت على وشك البوح بالأمس.

- كدت أفعل لأنى خدعت فيك.

توقف فجأة وناولها الدواء قائلاً:

- دعينا من هذا الموضوع وتناولى الدواء ليخف الألم.

- لا تخف على فلن أموت.

- هيا إلى السرير فأنت تعب.

- لا أريد أن أنام!

هددها بلهجة أمرة:

- لا تجبرينى على حملك إليه بقوة!

تناولت الدواء وتوجهت إلى سريرها وقبل أن يخرج من الغرفة سألته:

- لماذا لن تبوح لى بكل شىء؟

- لأن نظرتك إلى لم تتغير مع الأسف. والدليل على ذلك انك

حاولت الفرار. فلنكن صريحين ونعترف بأننى لست مؤهلاً لأكون زوجاً

لك، وإن كنت أرى بأنك معجبة بى.

لم ترض لين بهذه الحقيقة فصاحت معترضة:

- معجبة بك؟ يا لك من مغرور!

فوجئت المرأة بأن زوجها لم يفضب بل قال لها بهدوء جعلها تخجل

من كذبها:

- اؤكد لك أنك معجبة بى وترتاحين لوجودك معى. ولكنك غير

قادرة على التأقلم مع حياتى، وعلى التخلص من عقدة التفوق.



- حسناً، أعتزف بأنى أشعر نحوك بالتفوق إذا كان هذا يرضيك.
- اعتراف غير مقنع تماماً. سنجد فرصة أخرى للتصارع أما الآن فإلى النوم!

- جاء بقفل أغلق به النافذة بطريقة لم يعد ممكناً معها فتحها.
- آسف يا حلوتى ولكنى مضطر لفعل ذلك.
- أمن العدل أن تجعلنى سجينه هذه الغرفة؟
- تابعت متوسلة:

- أعدك بأننى لن أهرب.

- لن أرجع عن قرارى فالتجارب السابقة معك لا تشجعنى على الثقة بك.

خرج رادولف من الغرفة وترك زوجته وحيدة فى سريرها تنتظر المجهول. لكن الألم والتعب تحاملا عليها فأغمضت عينيهما ونامت.

## ٩. الوحش الضارى

أفاقت لين مذعورة على سرير باب غرفتها يفتح ورات رادولف يطل برأسه فسارعت إلى القول:

- أدخل فأنا بخير ولم أعد بحاجة إلى النوم. كم الساعة الآن؟
- الواحدة ظهراً. كيف تشعرين؟

استتجت لين من ملامح وجهه أن بوريل لم يأت بعد.

- صرت أحسن بكثير فالصداع اختفى والحمد لله.

- أتستطيعين تناول الطعام؟

- أعتقد أن فكرة الأكل صائبة جداً. ماذا لدينا اليوم؟

- لدينا بعض السمك المشوى.

- هل تعد قائمة بما تستعمله لتسد ثمنه لصديقك؟

أجاب الفجرى مبتسماً:

- لا، فصديقى لا يعرف ماذا يملك لكثرة غناه.

- ألن تستطيع التخلى عن عادة السخرية هذه؟



- ألن تتخلى أنت عن عادة طرح الأسئلة مادمت تعرفين طريقة إجابتي عليها؟

- يا لك من لغز محير! اكتشفت أنك ذو شخصية مزدوجة.

- بالله عليك أخبريني عن هذا الاكتشاف العظيم!

- أنت تتحول مثلاً من حمل وديع إلى وحش مفترس!

تحسس الجرح الذى ماتزال آثاره ظاهرة فى وجنته وقال:

- وحش مفترس! لقد قدتني بتصرفاتك الخرفاء إلى أفعال ما كنت أتصور أنى سأرتكبها يوماً.

ارتبكت لين لأنها لا تستطيع كتم شعورها بالذنب كلما رأت ذلك الجرح فى وجه رادولف، وأن يكن ذلك الشعور لا يعنى أن الفجرى لا يستحق الضرب... لا بل كان يستحق أكثر!

- أتريد مناقشة الاقتراح الذى تحدثت عنه؟

لم يجب الفجرى على الفور بل نظر إلى ساعة الحائط قلقاً من تأخر بوريل فى الوصول.

- سنبحثها بعد ذلك بعد أن تستقر أوضاعنا.

أيقنت لين أن لا جدوى من متابعة الموضوع مادام رادولف لا يرغب فى إطلاعها على شيء. ماذا عنى باستقرار أوضاعها؟ تهدت معلنة فشلها فى حل ولو جزء صغير من اللغز الكبير الذى يحيط بالفجرى ذى الشخصية الغريبة.

- أحياناً عندما تتكلم، لا أراك فجرياً يا رادولف!

- ومع ذلك أنا فجري ابن فجري.

تفحصت لين عينيه السوداوين اللتين تعلمت قراءة ما فيهما من أحاسيس: الغضب والحنان، الهوى الجامح الذى تلمظت بناره ومؤخراً تعلمت فيهما قراءة الطيبة، الندم، الأسف والحزن العميق أما فى هذه اللحظات بالذات فتقرأ فيهما تحدياً كأن رادولف ينتظر منها أن تحاول انكار كونه فجرياً. أنه يعلم ما يدور فى فكرها من أسئلة محيرة، لكنها تجاوزت التحدى وقالت:

- ما سبب بقاءنا هنا ليلة أخرى؟

كانت تعلم أن السبب هو رغبة رادولف بلقاء بوريل، وبالفعل لم يخيب زوجها ظنهما عندما أجاب:

- أنا أنتظر شخصاً هنا.

تظاهرت لين بعدم معرفتها بذلك فتعجبت وقالت:

- تنتظر رجلاً أو امرأة؟

- أنتظر رجلاً.

- عجيب حقاً أن تستضيف زواراً فى هذا المكان!

قالت لين ذلك وعيناها تنظران إلى الأرض مخافة أن تفضحها.

- لا يفاجئنى ذلك يا عزيزتى فهناك الكثير من الأمور التى نعتبرينها غامضة. وأعدك بأنها ستتوضح عندما أطلعك على خطتى.

ماذا حدث لصوت رادولف الأمر؟ لماذا هذا الارتجاف الذى يخفى خوفاً من أن ترفض لين اقتراحه.



- ما فعله مجرد تسكين للألم وتأجيل للمشكلة، فأنا ضقت ذرعاً  
بهذه الأسرار!

- الخطأ خطأك... لو لم تعتبريني حثالة المجتمع لما حصل كل ذلك.

لم تعرف لين كل هذه المرارة والحزن في صوته قبل الآن، ولم تر  
شفتيه مرتعشتين ويديه ترتجفان. ثقته الكبيرة بنفسه لم تقلح في  
اخفاء توتره وانفعاله وكان مستقبلي معلق على ما سيحدث في  
الساعات القليلة المقبلة.

من جهتها حافظت لين على هدوئها وتكلمت يدفعها الحب المسيطر  
على جميع تصرفاتها وأقوالها:

- ألم يخطر ببالك أنى غيرت رأيي فيك؟ لقد قلت ذلك تحت تأثير  
الصدمة والهلع! أى إنسان يقول أشياء ثم يندم، كما يفعل أشياء ثم يندم.

كانت تشير بكلامها إلى غلظتها المشتركة، غلظتها في وصفها له  
بحثالة المجتمع، وغلظته في ضربها وارعابها. لا ريب في أن رادولف  
نادم على استعماله العنف وأنه لن ينسى ما فعلت يدها بسهولة.

- راجعت ضميرى مراراً بشأنك. أقر بأن عندك ازدواجية في  
الشخصية وأن فيك جانباً سيئاً ذكرته مرة ولكنك تملك جانباً حسناً لا  
أنكر إعجابى به.

تبع ذلك سكوت تام، سكوت دهشة بحث خلاله رادولف عن عيني  
زوجته ليفهم أكثر. ولكنها هربت من نظراته لا تكاد تصدق ما تفوهت  
به. كانت على وشك الاعتراف بحبها لا بل هي فعلت بطريقة غير  
مباشرة. إذ لا مفر من كون رادولف فهم ذلك من قولها هذا وتصرفاتها  
في المدة الأخيرة.

أحست لين بالانكسار لأنها لم تستطع مقاومة الحب الذى نما في  
داخلها تجاه هذا الرجل. رغم أن لقاءها به حفل بالذعر والخوف.  
ورغم أنها تأبى فكرة العيش زوجة لفجرى. جماله البدائى وطبيعته  
العفوية المتسلطة سيطراً على كيانها كالقدر المحتوم. ولم تتجح في  
الافلات من قبضتهما ومن نزعتهما الاستحواذية.

عندما نظرت إليه أخيراً شعرت أن الأمر قد فصل، وأنها مستعدة  
للمضى حتى النهاية ولتسليمه الدفة ليقودها إلى حيث يشاء. قبلت  
بالعيش مع الفجر مهما كان رادولف ومهما فعل. وأدركت أن ارتباطها  
به ليس مؤقتاً كما تصورت. بل نهائياً.

أخذ الفجرى يهز رأسه غير مصدق ما سمعت أذناه.

- إذا صح ما تقولين يا لين فهناك أمل كبير لنا!

ظهر للين جلياً أن عبئاً كبيراً نزل عن كاهله لما تكلم، وأن آفاقاً  
جديدة فتحت أمام عينيها. أيحبها رادولف؟ أيمكن أن يتخلى عن  
مجتمعه الفجرى وأهله من أجلها؟ أمن الممكن أن يعيش حياة طبيعية  
في منزل صغير ويتخذ رادولف مهنة شريفة يرتزق منها ويربى  
أولادهما تربية صالحة؟

- لين، أتعنين ما قلت حقاً؟ ألن تحاولى الفرار والرحيل عنى؟

لم يدم ترددها طويلاً وسرعان ما منت عليه بأحلى ابتسامة وقالت  
بصوتها الحنون:

- أعنى كل حرف خرج من فمى. لن أتركك أبداً.

توقف الكلام عند هذا الحد. وأظهر الزوجان ارتياحاً هادئاً بعد أن



لاحت بشائر الأمل بحياة سعيدة مديدة وأن يكن الأمر بحاجة لبعض التفاصيل البسيطة...

كانت عقارب الساعة تشير إلى الرابعة بعد الظهر لما رن جرس الهاتف. ترك رادولف الرسائل التي كان يكتبها وأسرع ليغيب على المكالمة. رأت المرأة زوجها يفعل، يتجهم، ويمتلئ، غضباً عارماً. ثم يقول بصوت مخنوق:

- وهل ماتت؟ لم تمت ولكنها بحالة خطيرة؟ يجب أن أعثر عليه قبل رجال الشرطة. يا إلهي لماذا لم يأت هذا الغيبى إلى هنا كما كان ينوي!

تملكها خوف شديد لا تعلم سببه وهي تراقب زوجها يستمع إلى محدثه بقلق عميق. وعلمت ما سيقوله بعد أن أقفل الخط.

- على الخروج لبضع ساعات يا عزيزتى. أرجوك لا تطرحى على أسئلة لأن الوقت لا يجرى لصالحى. لا خوف عليك من البقاء هنا وإذا شئت أرسل لك السيدة وايت لتعتنى بك فى غيابى.

- أستطيع مرافقتك؟

- لا يا لين فأنا لا أريد اقتحامك فى هذه المشكلة.

قالت له أنها ستكون بخير وبانتظار عودته على أحر من الجمر.

- أرجو أن أتمكن من العودة خلال الليل. وعلى كل حال سأكون هنا صباح الغد كحد أقصى.

طبع قبلة ناعمة على جبينها وأضاف:

- سيكون كل شيء على ما يرام بيننا قريباً يا ملاكى.

بعد ثوان معدودة انطلق بالسيارة بسرعة فنهبت الأرض نهباً مرسله سحابة من الغبار فى الفضاء..

جلست لين وحيدة تحديق فى البحر الأزرق الهادى المتلألئ، تجت قرص الشمس الأحمر وليس لديها سوى أفكارها وتساؤلاتها تؤنس وحدتها. من يكون بوريل هذا؟ لا ريب فى أنه شخص مهم بالنسبة إلى رادولف وأنه ارتكب عملاً خطيراً يعرضه لمطاردة العدالة.

تهدت بعد أن تعبت من التفكير وقالت بصوت عال:

- لماذا أتعب رأسى بهذه الأمور مادمت لا أعرف خيوط الحقيقة؟

تدريجياً بدأ الفسق يلف الدنيا ملوناً البحر بستار رمادى، والجبال بوشاح قرمزى ناعم. قررت لين أن تقوم بنزهة بعد العشاء الخفيف الذى تناولته. وبعد عودتها تمددت على كرسى مريح فى غرفة الجلوس المضاء بنور شاحب يضىء عليها جواً شاعرياً يحتاج إلى وجود رادولف ليكتمل! تمننت أن يكون لها يوماً بيت كهذا تعيش فيه مع من تحب، ولربما تحققت أمنيتها متى عثر رادولف على وظيفة محترمة.

شغلت المرأة نفسها بقراءة بعض المجلات حتى لا تشعر ببطء الوقت وثقل الوحدة. كما استمعت إلى موسيقى ناعمة تبتث بواسطة مكبرات للصوت منتشرة فى جميع غرف المنزل.

فى حوالى العاشرة أوت إلى فراشها بعد أن استبعدت عودة رادولف وما لبثت أن غفت على صوت حفيف الأوراق تتصادم بفعل النسيم الليل.

أفاقت لين من غفوتها مرتعدة على ضجة خفيفة فجلست فى



سريرها صامتة، تاركة النور مطفأ. ولما لم تكرر الضجة غفت من جديد ولكن لدقائق قليلة فقط إذ سرعان ما فتحت عينيها على صوت الباب يفتح. ربما عاد رادولف ولم يشأ ازعاجها فدخل لينام في غرفة أخرى. همت لين بالنهوض لملاقة زوجها ولكنها عدلت كي لا تزعجه إذ لاشك في أنه مرهق جداً، ومحتاج للوحدة لاستجماع أفكاره والتقاط أنفاسه. بإمكانها انتظار طلوع النهار حتى تعرف منه الحقيقة التي وعد بكشفها حالماً ينتهي من مهمة العثور على بوريل.

أضاعت لين المصباح الكهربائي الموضوع قرب سريرها ونظرت إلى الساعة: الثالثة فجراً. لو كان معها كتاب تطالعه لأضاعت الوقت حتى تبدأ الشمس بالشروق وتطرّد ظلام الليل الطويل. أتذهب إلى غرفة الجلوس وتحضر كتاباً من تلك الكتب المرصوفة على امتداد الجدران؟ تخلت لين عن هذه الفكرة مخافة ازعاج زوجها، فأطفأت النور وعادت إلى النوم.

استيقظت لين في الخامسة وقررت الانتظار ساعة حتى تنهض لأن رادولف أوى إلى سريريه متأخراً. فلا ضرورة لابقاظه في هذا الوقت الباكر. وأمضت وقتاً طويلاً تحت الماء الساخن تتعش جسمها. جلست أمام المرأة تتزين استعداداً للقاء رادولف على أمل أن تكون مهمته انتهت على خير وتبدأ صفحة جديدة في حياتهما. بعد أن تأملت وجهها جيداً في المرأة ووجدته مرضياً ارتدت برنسا أبيض وخرجت إلى المشى تبحث عن الغرفة التي يحتلها رادولف.

في تلك اللحظة فتح باب إحدى الغرف فاستدارت لين مبتسمة... ولكن الابتسامة لم تطل لما رأت المرأة وجه الفجري.

ماذا حل به؟ عادت إلى وجهه إمارات القسوة الوحشية التي طالعتها بها في ذلك اليوم الذي لا ينسى حين حاول الاعتداء عليها...

همست لين في ذهول:

- رادولف... ماذا...

صمتت عندما رأت القميص مفتوحاً عن صدر يغطيه شعر أسود كثيف. أكثف مما عهدته فيه! رفعت عينيها إلى وجهه ووضعت يدها على فمها لهول المفاجأة: من أين أتى بهذه النظرات الرهيبة كشخص ظهرت أمامه خيالات أسطورية!

- رادولف أنت تخيفني...

كان مظهره كمجنون خطر وظنت لين أن الجانب الشرير طغى مرة أخرى على شخصيته المزدوجة وأن رادولف الذي يقف أمامها ليس رادولف الذي تعرفه... ولكنها ما لبثت أن ابتعدت أكثر من ذلك وأدركت أن هذا الرجل ليس زوجها!

توضعت الصورة أمام عيني المرأة بسرعة البرق. فهذا الرجل هو بوريل الذي يبحث عنه رادولف، وهو بالطبع الشقيق الذي حدثها عنه زوجها حيث أغفل أن يذكر لها أنهما توأمان!

تكلم الرجل أخيراً:

- ما الذي أتى بك إلى هنا؟

تراجعت لين خائفة تبحث عن باب غرفتها لتقف على نفسها هرباً من هذا الفجري الشرير. وكان هلعها شديداً فانعقد لسانها ولم تستطع التفوه ولو بكلمة واحدة.



كرر الرجل سؤاله وهو يقترب منها ببطء. لسوء حظها وجدت نفسها تصطدم بالجدار بدل أن تقودها قدمها المرتجفتان إلى الغرفة. فجحظت عيناها وفغرت فاهما في فزع رهيب عاجزة عن الحرك.  
- رادولف... يبحث عنك...

ارتسم على شفתי الرجل ما ظننته لين ابتسامة وقال بخبت:  
- سمعت أن أختي تزوج. فأنت إذن ولاشك الزوجة المحظوظة.  
- أصبت.

- يا للصدفة! وأنا كدت أنال منك في الغابة لولا تدخل ماندا لانقاذك!  
أطلق بوريل ضحكة شريرة وأضاف.

- يا لسخرية القدر كدت أعتدى على زوجة أختي!

مرر أنامله الطويلة في شعره الأسود الكثيف فزاد شكله غرابة واقتراباً من الجنون.

- لكن ماندا لن تستطيع انقاذك الآن سأصيب عصافيرين بحجر واحد. أهو قليلاً وانتقم من أختي المحترم بعد كل ما فعله معي.

بدا بوريل مستعداً للانقراض على فريسته الضعيفة ولين عاجزة عن الحركة بعد أن خانتها شجاعته ولم تعد تقوى على الصراخ. مرت في مخيلتها صور كثيرة ففهمت تقريباً كل ما حدث. حدثت في وجه العجري جيداً وأيقنت أن الرجل الذي هاجمها عند تعطل سيارتها ليس نفسه لذى قابلته في الغابة على الجواد! سيما وأن بوريل يحمل أثر جرح عميق في مفرق شعره ظهر واضحاً عندما مرر يده فيه. آه لو

أنها انتبهت لهذا الجرح لكأنت وفرت على نفسها وعلى زوجها الكثير من الآلام والأحزان! وفهمت من الآن لماذا كان رادولف يشير إلى الحادثة الثانية لما كانت تكلمه عن الأولى! فكيف له أن يذكر الأولى وهو لم يكن طرفاً فيها!

أمر بوريل بلهجة مفزعة:

- اقتربى منى يا امرأة! تعالى لأرى هذا الجمال عن قرب. لا بد أن شقيقى المليونير يقدم لك ماترغبين من الثياب. أما أنا فلا أملك سوى نفسى أقدمها!

تبع ذلك ضحكة هستيرية ملأت أرجاء المنزل وأشعرت لين أن أذنيها ستفجران.

- لنأمل يا حلوتى أن يطول غياب رادولف حتى أتمكن من اللعب معك على مهل.

مد يده السمراء نحو لين فصارت المرأة على حافة الاغماء. ولما انقض عليها بدأت بمقاومته بكل ما أوتيت من قوة. كان لبوريل قوة ثور هائج. لكن يأس لين دفعها إلى الصمود وهي تنتظر وقوع معجزة ومجىء زوجها لينتشلها من براثن شقيقه المتوحش. ولكن زمن المعجزات ولى وشيئاً فشيئاً بدأت قواها تخور وعزمها على المقاومة يضعف إلى أن هدأت تماماً وتمددت خائرة القوى على الأرض. حملها بوريل إلى كنبه في غرفة الجلوس. دبت فيها قوة مفاجئة فركلته بقوة على معدته وسقط على الأرض مغشياً عليه بعد أن ارتطم رأسه بحافة الموقد. كان هذا آخر مشهد تذكرته قبلما تفقد لين الوعي بعد ذلك...



## ١٠. امرأة فى قبضته

عادت لين إلى وعلها سرفعاً، وفوجئت بأن بوريل مايزال ممدداً على الأرض والدماء تنزف من رأسه.

- ماذا فعلت؟ هل قتلته؟

تغلبت المرأة على خوفها واقتربت تنصت إلى قلبه تتحسس فيه الحياة. كم كان ارتياحها كبيراً عندما رأت أن قلبه لم يتوقف عن الخفقان. وعلى الفور أخذت تفتش عن رقم طبيب تتصل به هاتفياً ليأتى ويعتى ببوريل. ولكنها ترددت بعد أن تساءلت عن رغبة زوجها بحضور طبيب ليعالج أخاه الهارب من وجه العدالة.

أسرعت إلى المطبخ وأحضرت حبلاً أوثقته به يدي العجى لتأمن شره إذا أفاق. ثم تفحصت الجرح فى رأسه ورأت أنه سطحي ولا يشكل أى خطر على حياته.

فتح الرجل عينيه فجأة وحدق فيها باستغراب:

- من أنت؟ أين أنا؟

شعرت لين نحوه بالشفقة رغم ما سببه لها من مصائب وويلات.

- أنا زوجة أخيك يا بوريل.

تخبط الرجل محاولاً فك قيد يديه ثم صاح:

- أين رادولف؟

- إنه يبحث عنك كما أبلغتك سابقاً.

قال بصوت قلق:

- لا يجب أن يجدنى هنا بأى ثمن، فكى وثاقى وإلا ...

حاول بوريل النهوض لكنه تعثر ووقع على وجهه:

- أرجوك، حلى وثاقى!

كادت لين أن تذعن لتوسله ولكن عقلها سيطر على انفعالات قلبها الرقيق. فجلست على المقعد تحديق فيه وتتنظر مجيء زوجها.

ما أكثر الفوارق بين رادولف وبوريل، هذه الفوارق لم تلاحظها لين فى السابق. الأول يهتم بأناقته ونظافته أما الثانى فقد لا يعرف للنظافة معنى. كان يكفئها أن تنظر لأظافر بوريل حتى تفرقه عن أخيه، ولكنها لا تلام لأنها كانت تتصرف مدفوعة بالخوف والرعب.

- رادولف يريد أن يتحدث إليك فى أمور هامة.

- ماذا يريد منى هذا الوغد ألا يكفيه أنه سلب أموالى ونال التركة بكاملها على رغم كونى أكبر منه؟ كان محفوظاً عندما تعهد جدانا بتربيته وتعليمه فى حين بقيت شريداً فى الطرقات. تصورى أنهما منحاه اسم العائلة الكريمة!

سألته لين إذا كان يريد دواء مسكناً فرفض وتابع كلامه:

- لقد نزعاه من مخيم الفجر عندما كان فى السادسة عشرة



وترعرع كأرستقراطي توافرت أمامه سبل العيش الواسعة! ولماذا حدث ذلك؟ لأن جدى العزيزين شعرا بتأنيب الضمير لما لقيته أمانا من ذل وهوان على أيديهما بعد أن نبذاها، لأنها فرت مع رجل غجرى وقعت فى غرامه. ولم يكفهما طردها بل اعتبرها ميتة ورفضاً علماً أسود على قبة القصر للدلالة على ذلك. وبعد موتها أرادا التكفير عن غلظتهما تجاهها فاستفاد من كل ذلك أخى العزيز.

تمتت لين بعد أن سمعت القصة وعرفت حقيقة زوجها:

- رفضاً علماً أسود... عن أى قصر تتكلم؟

- قصر آل دوغى بالطبع! لست بحاجة لأن أخبرك بأنك متزوجة من سيد أحد أكبر القصور ورأس إحدى انبل العائلات فى أيرلندا! وهذا المركز من حقى لا من حق رادولف!

- اهدأ يا بوريل.

نصحته لين بالهدوء وهى ترتعد بدورها غير قادرة على استيعاب الحقيقة الصاعقة. اللوحة إذن التى رأتها فى قصر دوغى كانت لوالدة رادولف. رادولف هو السيد دوغى صاحب القصر وسيد الأراضى! وهو أعاد الاعتبار إلى أمه المنبوذة وأعاد تعليق اللوحة فى القصر. ولكن لماذا اختاره جداه دون أخيه بوريل الذى بقى مشرداً فى المخيمات؟

تكلم بوريل بعد قليل بصوت منخفض وحزين:

- على الذهاب قبل مجئ رادولف فأنا تحاشيته لمدة طويلة ولا أرغب فى لقائه الآن! تعمدت أن أسبب له الكثير من المشاكل والعار، وحاولت قتل ماندا ولكن اللعينة لا تموت! أه كم أردت أن الصق

برادولف صفة شقيق القاتل الغجرى الخطير بوريل!

توقف بوريل فجأة بينما هبت لين من مقعدها، بعد أن سمعت صوت موتور السيارة، لتتلاقى زوجها.

- عزيزى رادولف، بوريل هنا!

- بوريل؟ أين هو؟

وعلى الفور سمع صوت بوريل يصيح من الداخل:

- أهلاً يا شقيقى المحترم! ماذا فى جعبتك الآن وقد أمسكت بى؟ قل ما عندك ودعنى أرحل لأنى لا أرغب فى البقاء معك ثانية واحدة!

- من حقا أن تبقى هنا وأن تبقى فى القصر ما شئت.

توقف رادولف عن الكلام عندما اندفع إلى الغرفة ورأى أخاه ممدداً على الأرض.

- ماذا حل برأسك ويديك؟

وقفت لين تنتظر ماذا سيقول بوريل الذى أخذ يضحك كالمجنون.

- لقد أرعبت عروسك الناعمة يا شقيقى العزيز، ولو لم يخنى الحظ لكنت تمتعت معها بوقت جميل.

رأت المرأة زوجها يمتلىء غضباً:

- ماذا حدث يا لين؟ هل أصابك بوريل بأى أذى؟

لم يدع بوريل لين تجيب على السؤال فتولى المهمة عنها:

- لا تخف فالوقت لم يسمح لى بالذهاب معها حتى النهاية. أضعت الفرصة لما ركلتى وطرحتنى أرضاً!



وثب رادولف على أخيه والشرر يتطاير من عينيه فخشيت المرأة أن يقع ما لا تحمد عقباه. وهرعت تمسك بيد زوجها متوسلة:

- أرجوك يا رادولف، أخوك يحتاج إلى الشفقة الآن لا إلى العقاب.  
هدأ رادولف لكلام زوجته بعد أن نظر إلى عينيها المليئتين بالرأفة والرحمة. واكتفى بالقول:

- لنشكر الله يا لين على أنك لم تصابي بأذى رغم أنه ولا بد سبب لك بعض الفزع.

نظر رادولف إلى أخيه وأكمل بحدة:

- ماندا مصابة بجروح بليغة!

- كنت أمل في موتها عندما جئت هنا هرباً من الشرطة.

- أبلغنى أولاف أنك أت. متى وصلت؟

لما ذكر بوريل ساعة حضوره نظر رادولف إلى زوجته مستهتماً.

- سمعت جلبة في الليل ولكنى ظننت أنك وصلت ولم تشأ إزعاجي يا عزيزي.

هز رادولف رأسه. متفهماً وقال:

- ولاشك أنك اعتقدت أني شغلت غرفة أخرى للسبب نفسه.

- تماماً.

بعدما اقتنع بوريل شقيقه بحل وثاقه، تكفل بسرد كل ما حدث له.

في تلك الأثناء كانت لين تراقب زوجها يفعل ضاغطاً على أسنانه

ضابطاً نفسه حتى لا يهجم على بوريل ويسحقه.

بعد أن استمع إلى سرد أخيه التفت رادولف إلى زوجته وقال:

- كونت فكرة صغيرة عنى الآن، أليس كذلك؟

ساهم الشعور بالذنب ودقة الموقف في دفع الدماء إلى وجهها، فاصطبغت وجنتاها بحمرة زادت سحراً.

- اعذرنى يا رادولف فتصرفاتى معك كانت طائشة.

القت لين نظرة خاطفة على الجرح في وجه زوجها وقالت:

- سأذهب إلى المطبخ لإعداد طعام فلا بد أن لديكما الكثير لتقولانه.

- إبق يا عزيزتى فوجودك هنا يوفر على الكثير من الشرح والكلام.

- ولكنها مسألة خاصة لا علاقة لى بها.

- أنت زوجتى، ومن حقك الاطلاع على الحقيقة.

امتلاً قلب لين بالسعادة لثقة زوجها بها، في حين كان بوريل مطاطاً الرأس منكسر النفس، تخفى عيناه دموع الندم والأسف.

جلست لين على كنبه قرب النافذة تستمع إلى «محضر الجلسة» بين التوأمين الفجريين.

بدأ رادولف الكلام بصوته الراقى ونبرته المتعالية:

- حسناً يا بوريل! زرعت البلاد طولاً وعرضاً بحثاً عنك، ولكن

لننس الماضى ولا أطلب منك الآن سوى قبول نصف التركة.

- لا! لن آخذ شيئاً فأنت سرقتنى!

لم يستطع بوريل هذه المرة كبت دموعه ففاضت من عينيه بغزارة أدمت قلب لين.



توجه رادولف إلى لين شارحاً كيف ورث وحده ثروة عائلة دوغى كلها: هريت والدته، وهى صبية يافعة بعد، مع شاب عجى وسيم كان بمخيم مع عشيرته فى مكان قريب من القصر. وهكذا نبذها أهلها ولم يلتفوا إليها رغم رسائلها المتكررة والتي أبلغتهم فى إحداها أنها حامل. ولم تكن تعلم بالطبع أن فى أحشائها طفلين!

أسند رادولف ظهره إلى حائط الموقد وأكمل سرد الحكاية المحزنة: - ماتت أمى خلال الوضع ومع الأسف الشديد عهد بتربيتنا إلى عائلتين مختلفتين فافترقنا ونحن طفلان.

تمتت لين والدموع تطفر من عينيها لهذه المأساة المحزنة:  
- آه ما أقسى القدر!

علق بوريل على كلامها بحدة:

- ما أقساه تجاهى لا تجاهه! فقد وضعت فى عهدة رجل وامرأة شريرين لم يكلفا نفسيهما مشقة تربيتى. بينما قاد الحظ رادولف إلى امرأة طيبة رعته أحسن رعاية وأطلقت عليه اسم رادولف تيمناً بنبلاء البلاد. ولم تكتف المرأة بذلك بل أخذت تدعى وتشيع أنه ولد قبلى مع أن العكس هو صحيح!

- لم يستطع أحد إثبات من هو الأكبر. وعلى أى حال، الفرق بين ولادة توأم وولادة آخر لا تتعدى الثوانى أو الدقائق.

- لا تحاول اخفاء الحقيقة يا سيد رادولف. والزوجان اللذان ربيانى، تريزا وأوستن، أكدا لى أننى أكبر منك.

- لا أستطيع مناقشة قولك يا بوريل لأنى لم أكن واعياً ومدركاً عندها!

لم يقتنع بوريل بل أصر على قوله:  
- أنا أكبر منك!

تجاهل رادولف كلمات أخيه وأكمل يسرد القصة قائلاً أن أولاف كان يعلم منذ البدء حقيقة أم الطفلين الحقيقة، لكنه لم يطلع أحداً على ذلك سوى من تعهد بتربيتهما. وذلك لاقتناعه بأن الجدين لن يلتفتا إليهما بسبب العار الذى سببته الابنة للعائلة.

هنا تدخل بوريل مقاطعاً:

- سمعت أن أولاف عاد عن رأيه واتصل بجدينا ليخبرهما بأن رادولف هو حفيدهما مهملاً إياى. وسبب ذلك اعتقاده أن رادولف يحمل من طباع ونبل والدته الكثير ليرحمه من حياة المخيمات الفجرية القاسية.

أكمل رادولف مصححاً إدعاءات أخيه:

- لم يتصل أولاف بجدى لأنه لم يشأ أن يسبب أى مشاكل للسيدة التى ربتى، وأنا سعيد لأنه فعل ذلك.

أعجبت لين بشهامه زوجها الذى يهتم بمشاعر سيدة عجربة رعته أكثر من التمتع بالجاء والثروة، كما تذكرت كلماته لأولاف التى قال فيها أنه لكان فعل الشئ نفسه لو كان فى مكانه.

أكمل الرجل:

- لو تركتها باكراً لصارت حياتها فارغة. وأنا أحببتها فعلاً لأنها كانت امرأة طيبة علمتى القراءة والكتابة، زودتنى بالكتب لأنال ثقافة معقولة. أنفقت المال الوفير لتؤمن لى العيش الكريم.

توقف رادولف قليلاً وزاد بكل جدية:



- لكن حياة الفجر وبيئتهم أثرتا في شخصيتي بالطبع فلم أكن ذلك الشاب المحترم وأوقعتني طباعى الشرسة التي ورثتها عن والدى في مشاكل لا حصر لها.

مررت لين ملاحظة ملطفة:

- ولكنك ورثت الطيبة والنبيل عن والدتك.

تدخل بوريل محققاً في الزوجين:

- كيف تعرفتما إلى بعضكما وتزوجتما بمثل هذه السرعة؟ أنت لم تقابلي رادولف قبل لقائنا في المخيم لما تعطلت سيارتك، أليس كذلك؟

نظر رادولف إلى زوجته مستغرباً:

- تعطلت سيارتك؟ عم يتكلم بوريل؟

أطلق بوريل ضحكة عالية وقال:

- ألا تعلم أنى كدت... في المرة الأولى!

لم تكن لين راغبة في سماع بوريل يتكلم عن الموضوع ويضع القصة في قالبه الخاص فأمرته بالسكوت:

- اصمت! دعنى أفهمك ما حدث يا رادولف.

- تفضلى لأن القضية أصبحت معقدة فأنت لم تذكرى لى شيئاً عن لقاءك ببوريل.

أطلعتة لين على كل ما حدث دون أن تهمل شيئاً. ولما انتهت كانت علامات الغضب بادية في عيني رادولف الناظر إلى أخيه بكره.

- أيها الشرير! على أن أخنقك بيدي لا أن أعرض عليك المساعدة!

كان من الطبيعي أن يتعقد الأمر ويتراجع رادولف عن مساعدة أخيه بعد اطلاعه على ما حدث. لكن لين تدخلت راجية زوجها أن ينسى الموضوع ويساعد أخاه وعفا الله عما سلف!

وبعد معاندة طويلة رضخ رادولف لمشيئة زوجته وأعرب عن استعداداه لمعاونة بوريل ليحظى بحياة شريفة.

وبدلاً من أن يظهر بوريل الامتنان لأخيه قال ساخراً:

- لكنك لن تسامحنى بالطبع.

- كيف أسامحك بعد ما حدث بيني وبين لين من مصائب بسببك!

هز بوريل كتفيه علامة عدم الإكتراث قائلاً:

- لا يهمنى ما حصل بينكما ولكن كيف لم تستطع زوجتك التفرقة بيني وبينك إلا هذا الصباح!

ضحك بوريل وأكمل:

- آه لو أنها لم تتعرف إلى وسمحت لى...

لم يدعه رادولف يكمل إذ هفز إليه وهم بضربة لولا تدخل لين في اللحظة الأخيرة وفصلها بين الرجلين.

ترقرقت الدموع في عينيها ورمقت زوجها بنظرة رقيقة:

- بوريل يبقى شقيقك الوحيد على رغم تفريق القدر بينكما. عليك

أن تشركه في مصيرك، فأما أن تكونا ثريين وأما أن تكونا فقيرين.

ارتسمت علامات الدهشة والتعجب على وجهيهما.

- أتستطيعين مسامحة أخى با لين؟



قال رادولف ذلك بينما تتم شقيقه:

- إنها امرأة... مختلفة. لم أر في حياتي مثل هذا التسامح. يا ليتنى قابلت واحدة مثلاً، لا مثل ماندا المفترسة...

طمأنته لين بصوتها الحنون:

- ستجد من يعتنى بك ويحبك يا بوريل فلكل رجل امرأة تناسبه.

عنت لين ما تقول لأن بوريل ليس شريراً بطبيعته، بل هو عاش في بيئة غير صالحة وترعرع في محيط يؤمن بالقوة وبالخروج على القانون وسيلة للتفوق والفوز.

تكلمت لين محاولة تخفيف وطأة التوتر السائد بين الرجلين:

- أكمل القصة يا رادولف، كنت نخبرنا عن المرأة التي ربكك وثقتك.

بعد موت مربية رادولف مورين، بعث أولاف برسالة إلى الجديين يطلعهما على الوضع، ويرجوهما تربية رادولف وقبوله للعيش معهما في القصر. رحب العجوزان الثريان بالفكرة لأنهما كانا وحيدين لا وريث لهما سوى قريب بعيد يعيش في أمريكا.

قاطع بوريل شقيقه معترضاً:

- أنت تهمل جزءاً مهماً من القصة وهو أن أولاف لم يكلف نفسه مشقة البحث عنى.

- ربما لا تعرف يا بوريل أن أولاف سمع أن العربية التي كنت تعيش فيها مع الزوجين احترقت ومات جميع من فيها.

- كان عليه التأكد من ذلك لا تصديق الأخبار بسرعة، فإنا نجوت من الحريق ولم أصب إلا ببعض الحروق البسيطة.

أزاح بوريل الشعرات السود وأراها أثر الجرح في رأسه ثم تابع:  
- لنفترض أن أولاف لم يعرف بوجودي حياً إلا منذ سنتين، فلماذا انتظر أسابيع عدة ليطلعك على الأمر؟ ربما خشى من معرفتك أن لك أخاً شريراً...

- لا أدري ما الذى شغله عن إخبارى على وجودك.

- لم يرد افساد حياة رجل محترم باقحام أخ شرير ومتشرد فيها. فأنت نشأت في أحسن البيوت وأرقاها بينما اضطررت لشق طريقي وحيداً منذ إن كنت في العاشرة. والله وحده يعلم كم واجهت من الصعوبات لكي أستطيع الصمود.

ارتجفت شفتا بوريل فظنت لين أنه سيعود إلى البكاء، سيما وإنها لم تكن بحاجة إلى تشجيع لتتهمر دموعها. حاول رادولف تبرير موقفه وتصحيحه:

- دعوتك مرات ومرات لتأتى وتعيش معى فى القصر حيث تبدأ بتحصيل العلم والثقافة وتعاشر من يجب أن تعاشرهم من الناس. رفضت ذلك مع أنه من حقل أخذ نصف الأموال.

أكمل رادولف بكل أسى:

- اعتبرت أن فى الأمر تصدقاً ولكنك مخطئ. لأننى لم أعرض عليك إلا حقل، وكن على ثقة أنى مازلت عند عرضى ومستعد لنصبح صديقين نتعاون فى مواجهة مشاق الحياة وقساوتها.

تساءلت لين عما يمكن أن يكون أكثر عدالة من هذا العرض، وحبها لزوجها يتضاعف لما خبرته فيه من نبل وشهامة. نظرت إليه مبتسمة فرد الابتسامة بأنعم منها وقلبها يخفق طرباً بالحب الكبير.



فكر بوريل ملياً بالأمر وأعلن:

- رفضت دعواتك السابقة لأنى كنت على قناعة أنى أكبر منك سناً، وأنى خدعت وحرمت من المال والتربية. أردت وأريد أن أصبح رجلاً محتوماً ولكن تغيرى صعب وقد بلغت الثلاثين. كنت محظوظاً يا رادولف لأنك تركت حياة الفجر منذ الصغر، أما ان تبدأ عملية تحول تنقلك من ضفة إلى ضفة وأنت فى الثلاثين فإربع المستحيلات.

تفهم رادولف رأى أخيه معترفاً أنه، عندما كان فى السادسة عشرة، وجد صعوبة قصوى فى التخلص من عاداته العجرية والتأقلم فى نمط الحياة الأرسقراطية المعقدة.

- لا مجال للمقارنة يا لين بين تعقيدات وشكليات حياة القصور وحرية وفتتان حياة الفجر. ولا أنكر أنى صممت مراراً على الفرار والعودة إلى المخيم لأعيش بين قومى وأصحابى.

قدرت لين لما سمعت ذلك مدى شجاعة زوجها وقوة إرادته اللتين جعلتاها يصمد ويبقى فى القصر مع جدين مستبدين، ولا عجب فى كونهما كذلك، شأن كل أصحاب الثروات والألقاب النبيلة. لا ريب فى أن رادولف بذل مجهوداً جباراً ليعتاد على متطلبات حياة القصور ويتخلى عن اللامبالاة التى طبع عليها فى حياته العجرية.

علق بوريل على كلام أخيه:

- لو أنك كنت هربت من القصر لربما كنت أنا مكانك الآن.

- ربما.

قطبت لين حاجبئها غير قادرة على تصور بوريل المتشرد فى ملابس أرسقراطى عريق، أعاد رادولف سؤاله:

- ما أريد أن أعرفه منك يا بوريل هو هل تقبل بعرضى طارداً من ذهنك فكرة التصديق والحسنة؟

- أتعرض على السكن فى القصر؟

- أعتذر إذا قلت أن هذا مستحيل لأنك أربعت زوجتى مرتين وهى ستززعج من وجودك فيه.

- هذا يعنى أنك غير مؤمن بإمكانية عودتى إلى الطريق الصواب.

أضاف بوريل قبل أن يتمكن أخوه من التعليق:

- لن أستطيع يا رادولف معرفة سبب انشغالك بى وبحثك الدائم عنى. جبت مخيمات البلاد كلها مرتدياً ثياباً لا تليق بمقامك حتى لا تشعر الفجر بأى نقيصة، وشاغلاً عربات قذرة لا تصلح لأن تكون مكاناً لرمى النفايات فى قصرك... والله لو كنت مكانك لتخليت عن البحث مرسلأ إياك إلى الجحيم!

اكتفى رادولف بابتسامة خفيفة بينما أكمل بوريل :

- أتعجب لماذا أنبأك أولاف بوجودى مع أن سلوكى كان يسبب له القرف! أنا لص، محتال، قاطع طريق... حتى الفجر لا يرضون بوجودى بينهم... لا حل لى إلا بالاختفاء بعيداً عن أنظار الناس!

نظرت لين إلى زوجها فرأته يفكر بعمق عن حل لمشكلة بوريل، وأرادت أن تتكلم لكن زوجها سبقها:

- لا أحد يكرهك يا بوريل فأنت عدو نفسك المبين. لماذا لا تطوى صفحة الماضى وتبدأ حياة جديدة؟ أخبرنى أولاف مرة إنك بحاجة إلى رأسمال صغير لتهاجر إلى استراليا وتؤسس مصنعاً للخشب مع صديق لك، فهل مايزال المشروع قائماً؟



- لا أعلم... فالرجل سافر إلى استراليا وسمعت أنه.. يجد صعوبة في تسيير العمل بسبب ضائقة مالية.

- المال ليس مشكلة فمتى قررت العمل سأمدك بما يلزم.

- أنا مصمم على العمل ومستعد للسفر إلى استراليا يا رادولف.

تنفس رادولف الصعداء وقال:

- وهل تقبل بنصف أموال الشركة؟

- ولكن المال جاء بالوصية أنه لك؟

- أموال عائلة دوغى يا بوريل، حق مشترك علينا تقسيمه بالتساوى.

- لا أجرؤ على أخذ نصف الأموال في الوقت الحاضر، لأننى لا

أجد نفسى قادراً على إدارتها. اعطنى ما يلزم لإنشاء المصنع واحفظ الباقى، فإن احتجت إلى شىء أرسل إليك.

- كما تريد يا بوريل، سأعمل على مدك بالمال اللازم فى أى وقت...

قاطعه رنين الهاتف فهرع ورفع السماعة خائفاً من أن يكون فى الأمر سوء، لكنه ما لبث أن انفرجت أساريره وأبلغ زوجته وشقيقه:

- ماندا بحالة جيدة ولن تتقدم بشكوى إلى النيابة.

اكتفى بوريل بالقول:

- يسرنى سماع ذلك.

- تعلم يا بوريل إن كونيل أوقع نفسه فى مشاكل عديدة وهو خائف

ويريد السفر ليسوى أوضاعه ويبنى مستقبله. ما رأيك باصطحابه إلى استراليا فأنا وعدته بالمساعدة.

نظر رادولف إلى زوجته وقال ضاحكاً:

- لا تظنى أن كونيل كان ينوى مساعدتك على الفرار فقد اعترف

لى بكل شىء. الست مسرورة يا عزيزتى لأنه لم يساعدك؟

- نحن لم نعد إلى المخيم لأعرف حقيقة ما حدث.

- صحيح يا لين ولكنه كان موجوداً فى أحد المخيمات التى مررنا بها.

استوضح بوريل شقيقه:

- ماذا عن كونيل والهرب؟

لم يجب رادولف بل وعد:

- سنطلعك على ما حدث فى المستقبل عندما يأتى لزيارتنا.

وافق بوريل مدركاً فى قرارة نفسه أنه متى غادر هذا المكان لن يعود أبداً.

- لنعد إلى موضوع كونيل يا بوريل. إنه شاب ذكى ويستحق أن

يتمتع بأكثر مما تقدمه حياة الفجر. واعتقد بأنه سيكون لك عوناً كبيراً فى أعمالك.

- لا مانع عندى فى اصطحابه.

- أتمنى لك وله كل التوفيق وأمل بأن تتوصل إلى تحقيق طموحاتك

بالمعزم وقوة الإرادة.

وقف بوريل على قدمين مرتجفتين باحثاً عن الكلمات المناسبة

ليعتذر عما بدر منه، لكن شقيقه لم يود احراجه فسارع إلى القول:

- يجب أن تستريح الآن يا بوريل وتتناول حبوباً مزيلة للصداع.



- فكرة حسنة. أريد أن أسالك شيئاً أخيراً يا رادولف، هل تهتم بالترتيبات القانونية لسفري؟

- لا تشغل فكرك لهذه الأمور وثق بي. إما الآن فادخل إلى غرفة النوم وخذ قسطاً من الراحة.

جلس الزوجان وحيدين على الشرفة يتأملان زرقة البحر الهادئ.

- أخيراً يا حبيبتي الغالية لم يعد هناك ما يعكر صفو حياتنا.

- أعتقد أن مشكلة بوريل انتهت على خير.

- أشكر الله على ذلك.

أخذ يداعب شعرها بحنان وأضاف:

- كنت شهمة جداً تجاهه يا حلوتي على رغم ما فعله معك. آه كم

سبب كلامك على اللقاء الأول لبساً وغموضاً، ولهذا كنت أستغرب موقفك مني.

- لو تحدثت مرة عن تعطل سيارتي...

- لقد أصبحت هذه الأمور جزءاً من الماضي بالنسبة إلي.

- وهو عندي كذلك.

- كنا ضحية ظروف معاكسة ولكننا خرجنا سالمين.

فكر رادولف قليلاً قبل أن يزيد:

- أتؤمنين بالحب من أول نظرة؟

- ربما... وأنت؟

- منذ أن رأيتك في الغابة علمت أنك الفتاة التي أبحث عنها.

غرقت في غرامك حتى أذنى وتعذبت كثيراً لاحتقارك إياي.

- ألم تتساءل يوماً لماذا ضربتتك بالسوط؟ أظننت أني فعلت ذلك بدون سبب؟

- حدث كل شيء بسرعة لم تدع لي مجالاً للتفكير وانجررنا بعد

ذلك وراء المواقف الانفعالية والرغبة بالنتقام. اعترف لك يا لين أني

أعاني من مركب نقص كوني غجرباً، فأنا أخاف من أن تكون بعض

تصرفاتي نابعة من الماضي الذي يطاردني ومن انتمائي الاجتماعي.

وأنت زدت الطين بلة عندما صنفتني غجرباً متشرداً حقيراً.

- أنت مخطيء يا حبيبى، كل ما فى الأمر أنني كنت مذعورة من

اعتدائك على دون أن يخطر لي أن الشخصين مختلفان. لا تتصور كم

كانت المفاجأة كبيرة عندما رأيتك في الغابة فظننت أنك لحقت بي من

المخيم حيث تعطلت السيارة حتى تكمل ما بدأته هناك.

- من عجائب الصدف حقاً أن تلتقى ببوريل ثم بي في الغابة، ولكن

القدر لعب لعبته لجمعنا.

رمقته بنظرة حنان ووضعت يدها على الجرح ثم همست:

- أعتقد أن أثره سيزول؟

- بالطبع سيزول.

- إن لم يحدث ذلك لن أغفر لنفسي أبداً.

ضحك رادولف وقبلها بحنان على جبينها:

- سنذهب غداً إلى بيتنا حيث نبدأ برسم طريق حياتنا الصحيح.

- فكرة رائعة يا حبيبى.



كانت فرحة لين كبيرة إلى درجة لا توصف، فالأمور تطورت بشكل مثير في الأسابيع الأخيرة، ووجدت نفسها في عالم آخر لم تكن تحلم أنها ستصبح جزءاً منه، بعدما كانت تدفن أوقاتها وراء مكتبها وبين جدران شقتها الموحشة.

- أصحيح إنك أمضيت سنتين في البحث عن بوريل؟

- نعم، ولكن ذلك لم يمنعي من الاهتمام بإدارة أعمالى. تنقلت بين المخيمات بسيارتى. إلا عندما التقيتك فقد كنت ذاهباً إلى المخيم على الحصان لأنه قريب نسبياً من القصر.

- ولماذا تظاهرت بكونك غجرباً فظاً؟

- ألن ننتهى من الاستجواب؟ حسناً، لأنك جرحت شعورى، وارتدت ان ارد لك الكيل كيلين. كدت، فى مرات عديدة، اعترف لك بالحقيقة ولكن عنادى كان يمنعى.

دفنت لين رأسها فى صدره وهمست:

- بذلك تعلمت أن أحبك لذاتك دون النظر إلى انتمائك، وأنا سعيدة لأنك تعرف أنى أحبك من قبل اطلاقى على شخصيتك الحقيقية.

- أظن أنك اكتشفت حقيقة مشاعرى نحوك يوم كنا فى السيارة.

- هذا صحيح يا رادولف. وإن حاولت مقاومة هذا الحب لأن الحياة الغجرية لا يمكن أن تروق لى.

- لكن مقاومتك كانت فاشلة!

- اعترف بذلك وإنى كنت مستعدة لمتابعة الرحلة معك حتى النهاية.

- ألا تريدان الاطلاع على الاقتراح الذى تحدثنا عنه؟

- بالطبع.

- لم أكن أستطيع تصور نفسى أعيش بدونك يا لين. ففكرت أن اشتري لك بيتاً خاصاً تعيشين فيه بحرية، مقابل سماحك لى برؤيتك مرة أو مرتين يومياً. وبذلك تتخليين عن فكرة الفرار.

- أتريد معرفة رأبى الحقيقى فى اقتراحك يا رادولف؟

- نعم.

- إنه أغبى اقتراح سمعته فى حياتى!

- ولماذا؟

- لأنك تعلم أنك لن تستطيع التقييد به وانك ستجبرنى بعد مدة

على... على...

احمر وجهها خجلاً فيما رادولف يطلق ضحكة عالية تعبر عن الارتياح والسعادة.

- بالله عليك يا لين أجيبى بصراحة: هل كنت ستنتقيدين ببنود

الاتفاق على الاقتراح؟

ترددت فى الاجابة وعيناها هاربتان من نظراته الطاغية.

- كنت... كنت سأنهار وأقوم باغرائك لتطرح كل ما خططت له جانباً!

ضحك الزوجان راضيين بالسعادة التى طالما بحثا عنها حتى وجدها بعد عذاب وشقاء. طوق رادولف خصر زوجته وقاما يتنزهان فى الحديقة حيث بدت الأزهار أكثر تفتحاً احتفاءً بالحب الكبير.

- سنأتى إلى هذا المنزل مرتين أو ثلاثاً فى السنة لقضاء العطلة.

- أن لهذا المكان فى نفسى أثراً حلوة يا حبيبى لأننا فيه وجدنا كرز



## السعادة الثمين.

لاحظ رادولف انزعاجاً على وجه زوجته فسألها:

- ما بك؟

- هل يعتبر زواجنا شرعياً؟

- يعتبر كذلك طبقاً لشرعية الفجر.

- وهل تعترف به السلطات الأيرلندية؟

- لا أظن ولكننا سنصحح الوضع حالما نصل إلى البيت.

استرجعت لين كل ما حدث منذ لحظة اختطافها حتى الساعة، كيف أرغمت على الزواج وعلى كتابة الرسائل إلى أصدقائها... كيف بقيت سجينة العربة يترصدها الفجر... وتذكرت يوم أشبعها رادولف ضرباً... صارت هذه الأحداث ذكريات يحوها حب رادولف والأمل الكبير المشرق بحياة سعيدة.

- هل ستجيبين على رسائل أصدقائك؟ فيعضها وصل بالفعل إلى

القصر رداً على رسائلك.

- بكل تأكيد.

- وماذا ستقولين لهم؟

- سأقول إنى متزوجة من أروع وأطيب رجل على سطح الأرض.

- أتعنين حقاً ما تقولين؟

اكتفت لين بالنظر إليه والحب يملأ عينيها، فاستوثق الفجرى أنها

ستكون هي «قبضته» إلى الأبد.